كتاب

النزاع والتخاصم

فيما بين بني أمية وبني هاشم

تأليف

الشيخ الامام والعالم العلامة الحبر الحجة الحافظ.
وحيد دهره وفريد عصره تقي الدين ابي محمد وأبي العباس
احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن ابراهيم بن تميم
المقريزى الشافعى عليهم الرحمة من الله آمين.

ويليه رسالة للجاحظ فى بني أمية

عنى بتصحيحهما حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمود عرنوس
القاضى بالمحاكم الشرعية

تطلب من ابراهيم يوسف صاحب مكتبة الاهرام بشارع محمد علي بمصر

الاهداء

الى حضرة صاحب المعالى الدكتور على زكى العرابى باشا حامل لواء العلم وحامى حمى الفضيلة يتقدم ناشر هذا الكتاب النفيس الجامع لفلسفة التاريخ الاسلامى باهدائه الى معاليه اعترافا بفضله علي رفع منار العدل ونشر العلم

الناشر

ابراهيم يوسف

صاحب مكتبة الأهرام

التعريف بمؤلف هذا الكتاب

بقلم حضرة صاحب الفضيلة

الاستاذ الجليل الشيخ محمود عرنوس

القاضى بالمحاكم الشرعية

المقريزى ليس بالنكرة المجهول بل هو علم من أعلام التاريخ وله ذكر يطول اذا تتبعناه من جميع نواحيه غير أننا نذكر كلمة يقف منها القارىء على مقدار علمه وفضله . هو تقى الدين أبو محمد وأبو العباس أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد المقريزى عرف بهذا الاسم نسبة لحارة ببعلبك تعرف بحارة المقارزة فقد كان أجداده من بعلبك وحضر والده الى القاهرة وولى بها بعض الوظائف وولد له صاحب الترجمة وكان مولده حسبما يذكره هو عن نفسه بعد سنة ٧٦٠ ھ وابن حجر يقول ان مولده سنة ٧٦٦ هجرية كما رآه بخط المقريزى نفسه . أما الامام السيوطى فيقول أن مولده ٧٦٩ هجرية ووفاته محل اتفاق حيث توفى فى

عصر يوم الخميس ١٦ رمضان سنة ٨٤٥ هـ بالقاهرة ودفن يوم الجمعة قبل الصلاة بحوش الصوفية البيبرسية

مازلت تلهج بالأموات تكتبها
حتى رأيتك فى الأموات مكتوبا

نشأ بالقاهرة وحفظ القرآن الكريم وسمع من كبار شيوخها كالآمدي والبلقيني والعراق وحج فسمع بمكة من كبار علمائها ودخل الشام وسمع بها أيضا من كبار الشيوخ فيها

اشتغل كثيرا وطاف على الشيوخ ولقى الكبار وتفقه حنفياً فى أول أمره على مذهب جده لامه ثم تحول شافعياً فيما بعد

نظر فى عدة فنون وكان يحسن الزايرجه والاسطرلاب والرمل والميقات عدا فنون الحديث والفقه وغيرها

ناب فى الحكم وولى الحسبة بالقاهرة غير مرة أولها فى سنة ٧٨١ هـ ثم عزل بالشيخ بدرالدين العينى وولى الخطابة بجامع عمرو وبمدرسة السلطان حسن والامامة بجامع الحاكم وغير ذلك من الامور الدينية وكان فى جميعها محمود السيرة حسن الاثر

اتصل ببرقوق ودخل دمشق مع ولده الناصر وعرض عليه قضاءها مرارا فأبى

وصحب الامير يشبك الدوادار وقتا ونال منه دنيا

حب المقريزى للعلم

كان رحمه الله محل احترام رجال الدولة فى عصره وكانوا يعرضون عليه اسمى المناصب فكان يجيب مرة ويرفض أخرى وحبب اليه العلم فى آخر امره فأعرض عن كل مظاهر الحياة وأبهتها وفرغ نفسه للعلم وكان ميله الى التاريخ أكثر من غيره حتى اشتهر ذكره به وبعد صيته فألف كثيرا وأجاد فى كثير من مؤلفاته التى أربت على مئتى مجلد كبار. كما يقول هو عن نفسه وقلما أجاد مكثر

حسن ترتيبه فى تأليف التاريخ

(١) الف اولا ـ عقد جواهر الاسفاط فى أخبار مدينة الفسطاط يتضمن تاريخ مصر من الفتح العربى الى قبيل قيام الدولة الفاطمية

(٢) كتاب اتعاظ الحنفاء باخبار الخلفاء يتضمن تاريخ الدولة الفاطمية

(٣) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك وهو يتضمن ملوك مصر وحوادثهم من بعد الدولة الفاطمية

والى ذلك يشير فى فاتحة كتاب السلوك اذ يقول (أما بعد

فانه يسر الله وله الحمد باكمال كتاب عقد جواهر الاصفاط من أخبار مدينة الفسطاط وكتاب اتعاظ الحنفاء باخبار الخلفاء وهما يشتملان على ذكر من ملك مصر من الامراء والخلفاء وما كان فى أيامهم من الحوادث والانباء منذ فتحت والى أن زالت الدولة الفاطمية وانقرضت احببت أن أصل ذلك بذكر من ملك مصر بعدهم الخ...

وكتاب السلوك هو الذى أتمه السخاوى بعد وفاة المقريزى وسماه التبر المسبوك فى ذيل السلوك

وله من الكتب الكبار الكتاب المسمى بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط

والتاريخ الكبير المقفى وهو فى ستة عشر مجلدا وكان يقول انه لوكمل على مايرومه لجاوز الثمانين مجلدا وكتاب مجمع الفرائد ومنبع الفوائد يشتمل على علمى العقل والنقل المحتوى على فنى الجد والهزل بلغت مجلداته نحو المائة

أما مؤلفاته الصغيرة فكثيرة ولكنها مفيدة يعتبر الكثير منها من أهم المراجع للمؤرخين منها كتاب البيان والاعراب عما بارض مصر من الاعراب. والالمام فيمن تأخر بأرض الحبشة من ملوك الاسلام

وكتاب التخاصم بين بنى أمية وبنى هاشم وهو الذى نقدم

هذه المقدمة وهو معتبر من فلسفة علم التاريخ ككتاب السخاوى المسمى الاعلام بالتوبيخ فكلاهما كتاب فلسفى يدل على مقدرة مؤلفه وله كتاب الاوزان والاكيال الشرعيـة الفه عندما كان محتسبا بالقاهرة

وكتاب تجريد التوحيـد المفيد وهو وان كان صغيرا الا انه من احسن المؤلفات واجودها فى هذا العـلم يقول عنه بعض مؤرخى المقريزى هو كتاب لانظير له فى بابه حذا فيـه حـذو شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيميه

لم يحصر المقريزى علمه وعقله فى دائرة ضيقة كما فعل كثير من معاصريه من العلماء بل سار شوطا بعيدا فى حدود العقل فبحث فى أصول الديانات والف كتاب شارع النجاة اشتمل على ما اختلف فيه البشر من اصول دياناتهم وفروعها مع بيان ادلتها وتوجيه الحق فيها وكانت له دراية بمذاهب أهل الكتاب حتى كان يتردد اليه أفاضلهم للاستفادة منه وهنا ينطق السخاوى بالحق بعد هذه العبارة ويقول ـ كانوا يستفيدون منه مع حسن الخلق وكرم العهد وكثرة التواضع وعلو الهمة فيمن يقصده والمحبة فى المذاكرة والمداومة على التهجد والاوراد وحسن الصلاة ومزيد الطمأنينة والملازمة لبيته ومع كل هذه الصفات فلم يخله من نقده اذ يقول عند ذكر كتاب الخطط هو كتاب مفيد لكونه ظفر

مسودة الأوحدى فأخذها وزادها زوائد غير طائلة والأوحدى كما يقول السيوطى هو شهاب الدين الأوحدى احمد بن عبد الله ابن الحسن ولد فى حدود سنة ٧٦١ هـ وكان لهجا بالتاريخ الف كتابا كبيرا فى خطط مصر والقاهرة ويتهمه السخاوى أيضا بعدم الاتقان فيما يرويه من الحوادث عن المتقدمين ولكن المؤرخين لم يعولوا على ماذكره السخاوى فيه لأن آثار المقريزى شاهدة له بالعلم والفضل - وابن حجر وهو شيخ السخاوى يقول فيه له النظم الفائق والنثر الرائق

والتصانيف الباهرة خصوصا فى تاريخ القاهرة فانه احيا معالمها واوضح مجاهلها وجدد مآثرها وترجم أعيانها ويقول مؤرخ آخر ان المقريزى كان متبحرا فى التاريخ على اختلاف انواعه ومؤلفاته تشهد له بذلك وان جحده السخاوى فذلك رأيه فى غالب أعيان معاصريه

من ذا الذى ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

محمود عرنوس
القاضى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الامام تقى الدين أبى العباس المقريزى

الحمد لله المعطى ما شاء من شاء لا مانع لعطائه ؛ ولا راد لمراده وقضائه . أحمده بما هو أهله من المحامد . وأشكره على فضله المتزايد وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا معاند. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبيه وخليله . اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحابته ومحبيه وأهل طاعته وسلم وشرف وكرم .

«أما بعد» فأنى كثيراً ما كنت أتعجب من تطاول بنى أمية إلى الخلافة مع بعدهم من جِذْم (١) رسول الله ﷺ وقرب بنى هاشم ـ وأقول كيف حدثتهم أنفسهم بذلك وأين بنو أمية وبنو مروان بن الحكم طريد رسول الله ﷺ ولعينه من هذا الحديث مع تحكم العداوة بين بنى أمية وبنى هاشم فى أيام جاهليتها ثم شدة عداوة بنى أمية لرسول الله ﷺ ومبالغتهم فى أذاه وتماديهم على تكذيبه فيما جاء به منذ بعثه الله عز وجل بالهدى ودين الحق إلى أن فتح مكة شرفها الله تعالى فدخل من دخل منهم فى الاسلام كما هو معروف مشهور وأردد قول القائل

كم من بعيد الدار نال مُرادَه ... وآخرُ دانى الدار وهو بَعيدُ

(١) جِذْم كل شىء أصله والجمع أجذام وجذوم

فلعمرى لا أبعد أبعد مما كان بين بنى أمية وبين هذا الأمر إذ ليس لبنى أمية سبب إلى الخلافة ولا بينهم وبينها نسب إلا أن يقولوا أنا من قريش فيساوون فى هذا الاسم قريش الظواهر لأن قوله ﷺ « الأئمة من قريش » واقع على كل قرشى ومع ذلك فأسباب الخلافة معروفة ومايدعيه كل جيل معلوم وإلى كل ذلك قد ذهب الناس فمنهم من ادعاها لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه باجتماع القرابة والسابقة والوصيـة بزعمهم فان كان الأمر كذلك فليس لبنى أمية فى شىء من ذلك دعوى عند أحد من أهل القبلة وأن كانت أنما تنال الخلافة بالوراثة وتستحق بالقرابة وتستوجب بحق العصبية فليس لبنى أمية فى ذلك متعلق عند أحد من المسلمين. وان كانت لا تنال إلا بالسابقة فليس لهم فى السابقة قديم مذكور. ولا يوم مشهور. بل لو كانوا إذ لم تكن لهم سابقة ولم يكن فيهم مايستحقون به الخلافة لم يكن فيهم مايمنعهم منها أشد المنع كان أهون وكان الأمر عليهم أيسر فقد عرفنا كيف كان أبو سفيان فى عداوته النبى ﷺ وفى محاربته وفي أجلابه عليـه وفى غزوه أياه وعرفنا اسلامه كيف أسلم وخلاصه كيف خلص على أنه انما أسلم على يد العباس رضى الله عنه والعباس هو الذى منع الناس من قتله وجاء به رديفاً إلى النبى ﷺ وسـأل أن يشرفه وأن يكرّمه وينوّه به وتلك يد بيضـاء. ونعمة غرّاء. ومقام مشهور.

وخبر غير منكور . فكان جزاء ذلك من بنيه أن حاربوا علياً وسموا الحسن وقتلوا الحسين وحملوا النساء على الأقتاب(١) حواسر وكشفوا عن عورة عليّ بن الحسين حين أشكل عليهم بلوغه كما يصنع بذرارى المشركين إذا دخلت ديارهم عنوة وبعث معاوية ابن أبي سفيان إلى اليمن بُسْر ابن أرْطاةَ فقتل ابنى عبيد الله بن العباس وهما غلامان لم يبلغا الحلم فقالت أمهما عائشة بنت عبد الله ابن عبد المدان من عبد الديان ترثيهما

يا من أحسَّ بُنيي اللذين هُما
كالدرتين تشظي عنهما الصدَفُ

أنحى على وَدَجَىْ طِفْلى مُرهفةً
مَطْروُرَةً وعظيمُ الاثمُ يقترَفُ

وقتلوا لصلب على بن أبي طالب تسعة ولصلب عقيل بن أبي طالب تسعة ولذلك قالت نائحتهم

عَيْنِ جُودي بِعبْرةٍ وَعَويلِ
واندُبي إنْ ندَبْتِ آل الرسول

تسعةٌ منهم لصُلْب عليّ
قد أصيبوا وتسعةٌ لعقيلِ

هذا وهم يزعمون أن عقيلا أعان معاوية على عليّ فان كانوا

(١) القتب الاكاف الصغير على قدر سنام البعير

كاذبين فما أولاهم بالكذب وان كانوا صادقين فما جازوه خيراً إذ ضربوا عنق مسلم بن عقيل صبراً وقتلوا معه هانىء بن عروة لأنه آواه ونصره قال الشاعر

فأن كنت لا تدرين ما الموت فانظري
إلى هانىءٍ فى السوق وابن عقيل
ترى بطلا قد هشم السيف رأسه (١)
وآخر يرمى من طمار قتيل (٢)

وأكلت هند كبد حمزة فمنهم آكلة الأكباد ومنهم كهف النفاق ونقروا بالقضيب بين ثنيتى الحسين ونبشوا زيداً وصلبوه والقوا رأسه فى عرصة الدار تطأه الأقدام وتنقر دماغه الدجاج حتى قال القرشى

إطرد الديك عن ذؤابة زيد
طال ما كان لا تطأه الدجاج

وقال شاعر بنى أمية

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة
ولم نر مهدياً على الجذع يصلب

وقتلوا يحيى بن زيد وسموا قاتله ثائر مروان (أى الأخذ

(١) فى رواية أخرى «إلى بطل قد هشم السيف رأسه»
(٢) قتيل بفتح اللام «فى الأصل المنقول عنه هذه النسخة»

لثار مروان) وناصر الدين (١)

وضربوا على بن عبد الله بن العباس بالسياط مرتين على أن تزوج بنت عمه الجعفرية التى كانت عند عبد الملك بن مروان وعلى أن نحلوه قتل سليط وسموا أبا هاشم بن محمد بن على وضرب سليمان بن حبيب بن المهلب أبا جعفر المنصور بالسياط قبل الخلافة وقتل مروان الحمار الامام ابراهيم بن محمد بن على أدخل رأسه فى جراب نورة حتى مات وقتلوا يوم الحرة عون بن عبد الله بن جعفر وقتلوا يوم الطف مع الحسين أبا بكر ابن عبد الله بن جعفر .

وقتلوا يوم الحرة أيضا الفضل بن العباس بن ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب والعباس بن عتبة بن أبى لهب وعبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. ومع ذلك كله فان عبد الملك بن مروان أبا الخلفاء من بنى مروان أعرق الناس فى الكفر لأن جده لأبيه الحكم بن أبى العاصى لعين رسول الله ﷺ وطريده وجده لأمه معاوية ابن المغيرة بن أبى العاصى طرده رسول الله ﷺ ثم قتله على وعمار صبراً .

ولا يكون أمير المؤمنين إلا أولاهم بالايمان وأقدمهم فيه هذا وبنوا أمية قد هدموا الكعبة وجعلوا الرسول دون الخليفة

(١) وقيل سموه « ناصر الداعى للحق »

وختموا فى أعناق الصحابة وغيروا أوقات الصلاة ونقشوا أكف المسلمين . ومنهم من أكل وشرب على منبر رسول الله ﷺ ونهبت الحرم ووطئت المسلمات فى دار الاسلام بالبقيع فى أيامه .

وكان أبو جعفر المنصور إذا ذكر ملوك بنى أمية قال كان عبد الملك جبارا لا يبالى ما صنع وكان الوليد مجنونا وكان سليمان همه بطنه وفرجه وكان عمر أعور بين عميان فاذا قيل عدل قال أن من عدله أن لا يقبلها ممن لم يكن لها أهلا ويتولاها بغير استحقاق وكان رجلهم هشام وقد صدق أبو جعفر وكان يقال لهشام الأحول السراق لأنه ما زال يدخل عطاء الجند شهراً فى شهر حتى أخذ لنفسه مقدار أرزاق سنة فلذلك قالوا الأحول السراق وقال خاله ابراهيم بن هشام المخزومى ما رأيت من هشام خطأً قط إلا مرتين فان الحادى حدا به مرة فقال :

إن عليك أيها البُختى

أكرمَ من تَمشى به المطى

فقال صدق قولك

وقال مرة والله لأشكون سليمان بن عبد الملك يوم القيامة إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان

وهذا ضعف شديد وجهل عظيم .

وكان هشام يقول « والله لأستحى الله أن أعطى رجلا أكثر

من أربعة آلاف درهم » .

وقدم هشام ابنه سعيداً على حمص فرمى بالنساء فكتب أبو الجعد الطائى إلى هشام مع خصى وأعطاه فرسا على أن يبلغ الكتاب وفيه :

أبلغ لديك أمير المؤمنين فقد
أمددتنا بأمير ليس عنينا
طوراً يخالف عمراً فى حليلته
وعند راحة يبغى الأجر والدينا

فعزله وقال يا ابن الخبيثة تزنى وأنت ابن أمير أمنين أعجزت أن تفجر فجور قريش «قبل هذا وأخذ مالى (١) » هذا لا يلى لى عملا أبداً وحسبك من عبد الملك ابن مروان قيامه على منبر الخلافة وهو يقول » ما أنا بالخليفة المستضعف ولا بالخليفة المداهن ولا بالخليفة المأفون » وهؤلاء هم سلفه وأئمته وبشفعتهم (٢) قام ذلك المقام وبتأسيسهم وتقدمهم نال تلك الرياسة ولو لا العادة المتقدمة والأجناد المجندة والصنائع القائمة لكان أبعد خلق الله من ذلك المقام — فالمستضعف عنده عثمان بن عفان والمداهن عنده معاوية والمأفون عنده يزيد بن معاوية والضعيف لا يكون خليفة لانه الذى ينال القوى منه انتشار الامر عليه —

(١) هكذا بالأصل فليحرر (٢) وبشفاعتهم

والمداهن لا يكون إماما . ولا يوثق منه بعقد . ولا بوفاء عهد . ولا بضمير صحيح ولا بغيب كريم . — والمأفون لا يكون إماما . وهذا الكلام نقض لسلطانه . وعداوة لاهله . وإفساد لقلوب شيعته . وقرة عين عدوه . وعجز فى رأيه . فانه لم يقدر على إظهار قوته . إلا بأن يظهر عجز أئمته وقد كانت المنافرة لا تزال بين بنى هاشم وبنى عبد شمس بحيث أنه يقال أن هاشما وعبد شمس ولدا توأمين فخرج عبد شمس فى الولادة قبل هاشم وقد لصقت أصبع أحدهما بجبهة الآخر فلما نزعت دمى المكان فقيل سيكون بينهما أو بين ولديهما دم فكان كذلك ويقال أن عبد شمس وهاشما كانا يوم ولدا فى بطن واحد كانت جباههما ملصقة بعضها ببعض فأخذ السيف ففرق بين جباههما بالسيف — فقال بعض العرب ألا فرق ذلك بالدرهم فانه لايزال السيف بينهم وفى أولادهم الى الأبد

وكانت المنافرة بين هاشم بن عبد مناف بن قصى وبين ابن أخيه أميه بن عبد شمس بن عبد مناف وسببها أن هاشما كانت اليه الرفادة(١) مع السقاية وذلك أن أخاه عبد شمس كان يسافر وكان يقيم بمكه وكان رجلا مقلا وله ولد كثير فاصطلحت قريش على أن ولي هاشم السقاية والرفادة وكان هاشم رجلا موسرا وكان اذا حضر موسم الحج قام فى قريش فقال « يامعشر قريش أنكم جيران الله

(١) الرفادة هى من الرفد وهى الاعانة رفده يرفده رفدا اعطاه

وأهل بيته وانكم يأتيكم فى هذا الموسم زوار الله يعظمون حرمة بيته وهم ضيف الله وأحق الضيف بالكرامة ضيفه وقد خصكم الله بذلك وأكرمكم به حفظه (١) منكم أفضل ماحفظ جار من جاره فأكرموا ضيفه وزواره فأنهم يأتون شعثا غبرا من كل بلد على ضوامر (٢) كالقداح (٣) وقد أزحفوا (٤) وتفلوا وقملوا وأرملوا فاقروهم وأغنوهم وأعينوهم » فكانت قريش ترافد (٥) على ذلك حتى أن كان أهل البيت ليرسلون بالشىء اليسير على قدرهم فيضمه هاشم الى ماأخرج من ماله وما جمع مما يأتيه به الناس فـأن عجز كمله وكان هاشم يخرج فى كل سنة مالا كثيراً وكان قوم من قريش يترافدون فكانوا أهل يسار فكان كل انسان منهم ربما أرسل بمائة مثقال هرقلية وكان هاشم يأمر بحياض من أدم فتجعل فى موضع زمزم من قبل أن تحفر زمزم ثم يستقى فيها من البئار التى بمكة فيشرب الحاج وكان أول مايطعمهم قبل التروية بيوم بمكة ويطعمهم

---

(١) بهامش الاصل « حفظه بالهاء » (٢) ضامر هو الجمل الذى هزل (٣) القداح واحدها قدح بكسر القاف وهى السهام وقيل العود اذا قطع على مقدار النبل (٤) يقال أزحف الرجل اذا اعيت أبله وتفل اذا ترك الطيب وقمل اذا كثر قمله وأرملوا احتاجوا يقال رجل أرمل وأمرأة أرملة أى محتاجه (٥) الرفادة من الرفد وهو الاعانة رفده يرفده رفداً أعطاه

عنا ويعرفه ويجمع فكان يثرد لهم الخبز واللحم والخبز والسمن والسويق والتمر ويحمل لهم الماء حتى يتفرق الناس لبلادهم — وكان هاشم يسمى عمرا وانما قيل له هاشم لهشمه الثريد بمكة وكان أمية ابن عبد شمس ذا مال فتكلف أن يفعل كما فعل هاشم من اطعام قريش فعجز عن ذلك فشمت به ناس من قريش وعابوه فغضب ونافر (١) هاشما على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة وعلى جلاء (٢) عشر سنين وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي جد عمرو بن الحمق (٣) وكان منزله عسفان وخرج مع أمية أبو همهمة حبيب بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر بن مالك الفهري (٤) فقال

(١) نافر الرجل منافرة وتفارا حاكم قال أبو علي الفارسي المنافرة المحاكمة نافرت فلانا الى فلان فنفرني عليه أي غلبني وكأن المنافرة كانت اولا انهم يسئلون اينا اعز نفرا (٢) جلا القوم عن الموضع جلوا يقال جلوا من الخوف وأجلوا من الخوف (٣) هو عمرو بن الحمق بن كاهن بن حبيب الخزاعي وقيل عمرو بن الحمق هو سعد من بني سعد) ابن كعب أحد الصحابة مات سنة خمسين

(٤) وعند ابن الكلبي أنه أبو همهمة واسمه عمرو بن عبد العزى بن عامرة ابن عميرة بن وديعه بن الحارث بن فهر وأمه وأم اخوته طريف وسلامان وجابر قلابه بنت عبد مناف بن قصي وأبو همهمة جد حرب بن أمية بن عبد شمس أبو امه وكان أبو همهمة شريفاً .

الكاهن والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم أمية الى المآثر أول منه وآخر وأبو همهمة بذلك خابر .

فأخذ هاشم الأبل فنحرها وأطعم لحمها من حضر وخرج أمية الى الشام فأقام به عشر سنين فكان هذا أول عداوة وقعت فى بنى هاشم وبنى أمية ولم يكن أمية فى نفسه هناك وأنما يرفعه أبوه وبنوه وكان مضعوفا وكان صاحب عهار يدل على ذلك

قول نفيل بن عبد العزى جد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين تنافر اليه حرب بن أمية وعبد المطلب بن هاشم فنفر عبد المطلب وتعجب من إقدامه عليه وقال :

أبوك معاهر وأبوه عف

وذاد الفيل عن بلدٍ حرام

وذلك أن أمية كان يعرض لامرأة من بنى زهرة فضربه رجل منهم ضربة بالسيف وأراد بنو أمية ومن تابعهم إخراج زهرة من مكة فقام دونهم قيس بن عدى السهمى وكانوا أخواله وكان منيع الجانب شديد العارضة حمى الانف أبى النفس فقام دونهم وقال « أصبح ليل » فذهبت مثلا ونادى « إلا أن الظاعن مقيم » ففى هذه القصة يقول وهب بن عبد مناف بن زهرة .

مهلا أمى فان البغى مهلكة
لا يكسبنك ثوبا شره ذكر

تبدو كواكبه والشمس طالعة
يصب فى الكأس منه الصاب والمقر

وصنع أمية فى الجاهلية شيئا لم يصنعه أحد من العرب زوج ابنه أبا عمرو بن أمية امرأته فى حياة منه — والمَقتِيّون فى الاسلام هم الذين أولدوا نساء آبائهم واستنكحوهن من بعد موتهم واما أن يتزوجها فى حياته ويبنى عليها وهو يراه فان هذا لم يكن قط وأمية قد جاوز هذا المعنى ولم يرض بهذا المقدار حتى نزل عنها له وزوجها منه

وأبو معيط بن أبى عمرو بن أمية قد زاد فى المقت درجتين (١) ثم نافر حرب بن أمية عبد المطلب بن هاشم من أجل يهودى كان فى جوار عبد المطلب فما زال أمية يغرى به حتى قتل وأخذ ماله فى خبر طويل وعادت العداوة بين البيتين حتى قام سيد بنى هاشم أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم رسول الله ﷺ بمكة يدعو قريشا الى توحيد الله تعالى

وقد روى سفينة عن أم سلمه أنه قال لها أن بنى أمية يزعمون أن الخلافة فيهم فقالت كذبت أستاه بنى الزرقاء بل هم ملوك ومن شر الملوك ويقال أن الزرقاء هذه هى أم بنى أمية بن عبد شمس وأسمها أرنب وكانت فى الجاهلية من صواحب الرايات

جلت قدرته وترك ما كانت تعبد من دون الله فانتدب لعداوته ﷺ جماعة بنى أمية منهم أبو أحيحة سعيد بن العاصى بن أمية حتى هلك على كفره بالله فى أول سنة من الهجرة أو فى سنة اثنتين وهو محاد الله ورسوله ومنهم عقبة بن أبى معيط أبان بن عمرو بن أمية وكان أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ وأذا الى أن قاتل يوم بدر فأتى به الى رسول الله ﷺ وقد أسر فأمر بضرب عنقه فجعل يقول ياويلتى علام أقتل يامعشر قريش أأقتل من بين هؤلاء فقال رسول الله ﷺ لعداوتك لله ولرسوله فقال يامحمد منك أفضل فاجعلنى كرجل من هؤلاء من قومى وقومك يامحمد من للصبية قال النار وضرب عنقه وقيل أن رسول الله ﷺ أمر به فصلب فكان أول مصلوب فى الاسلام – وقال عطاء عن الشعبى أن رسول الله ﷺ قال لعقبة بن أبى معيط يوم بدر والله لأقتلنك فقيل أتقتله من بين قريش قال نعم انه وطئ على عنقى وأنا ساجد فما رفعت حتى ظننت أن عينى قد سقطتا وجاء يوما وأنا ساجد بسلى شاة فألقاه على رأسى فأنا قاتله .

ومنهم الحكم بن أبى العاصى بن أمية وكان عارا فى الاسلام وكان مؤذيا لرسول الله ﷺ بمكة يشتمه ويسمعه ما يكره فلما كان فتح مكة أظهر الاسلام خوفاً من القتل .

فلم يحسن اسلامه وكان مغموصا (١) عليه في دينه ثم قدم المدينة فنزل على عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية رضى الله عنه وكان يطالع الأعراب والكفار باخبار رسول الله ﷺ وبينا رسول الله ﷺ يمشى ذات يوم ومشى الحكم خلفه فجعل يختلج بأنفه وفمه كأنه يحاكى رسول الله ﷺ ويتفكك ويتمايل فالتفت رسول الله ﷺ فرآه فقال له كن كذلك فما زال بقية عمره على ذلك وأطلع يوما على رسول الله ﷺ وهو في حجرة نسائه فخرج اليه بعنزة (بعد العين نون مفتوحة وزاى) فقال من عذيرى من هذا الوزغة لو أدركته لفقأت عينه .

وقال زهير بن محمد عن صالح بن أبي صالح قال حدثنى نافع ابن جبير بن مطعم عن أبيه قال كنا مع النبي ﷺ فمر الحكم ابن أبي العاص فقال النبي ﷺ « ويل لأمتى مما في صلب هذا » ثم أن النبي ﷺ لعنه وما ولده وغربه عن المدينة فلم يزل خارجا عنها بقية حياة رسول الله ﷺ وخلافة أبي بكر وعمر رضى الله عنهما فلما استخلف عثمان رضى الله عنه رده الى المدينة وولده فكان ذلك مما أنكره الناس على عثمان وكان أعظم الناس شؤما على عثمان فانهم جعلوا أدخاله المدينة بعد اطراد النبي اياه وبعد امتناع أبي

(١) غمصه يغمصه غمصا حقره ورجل مغموص عليه في دينه أى مطعون عليه

بكر وعمر من ذلك اكبر الحجج على عثمان رضى الله عنه ومات فى خلافته فضرب على قبره فسطاطا وقد قالت عائشة رضى الله عنها لمروان بن الحكم « أشهد أن رسول الله ﷺ لعن أباك وأنت فى صلبه » وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت لمروان بن الحكم

إنّ اللعينَ أباكَ فارم عِظامَهُ (١)
إن تَرمِ تَرمِ مخلَّجاً مجنونَا
يضحى خميصَ البطنِ مِن عمل التُّقى
ويظلُّ مِن عملِ الخبيثِ بَطِينا

وكان الحكم هذا يقال له طريد رسول الله ولعينه وهو والد مروان بن الحكم الذى صارت الخلافة اليه بالغلبة وتوارثها بنوه من بعده وكان رجلا لافقه له، ولا يعرف بالزهد، ولا برواية لآثار، ولا بصحبة، ولا ببعد همة؛ وإنما ولى رستاقا من رساتيق دارابجرد لابن عامر ثم ولى البحرين لمعاوية وقد كان جمع أصحابه ومن تابعه ليبايع ابن الزبير حتى ردّه عبيد الله بن زياد وقال يوم مرج راهط والرؤوس تنبذ عن كواهلها

وماذا لهم غيرَ حَينِ النفو
س أىّ غُلامَىْ قُريشٍ غلب (٢)

---

(١) ويروى أن اللعين أبوك

(٢) ويروى وماضرّهم غيرَ حين النفوس أىّ اميرَىْ قريش غلب

وهذا كلام من لايستحق أن يلى ربعاً من الارباع ولا خمساً من الأخماس .

فكان مروان أول من شق عصا للاسلام بغير تأويل وقال لخالد بن يزيد بن معاوية وأم خالد يومئذ عنده أسكت يابن الرطبة فكان حتفه فى هذه الكلمة

وكتب عبد الملك بن مروان إلى محمد بن الحنفية « من عبد الملك أمير المؤمنين إلى محمد بن الحنفيـة » فلما نظر الى عنوان الصحيفة استرجع وقال (تسلط) الطلقاء ولعناء رسول الله ﷺ على سائر الناس والذى نفسى بيده أنها لأمور لايقر قرارها ومنهم عتبـة ابن ربيعة بن عبد شمس بن أمية أحد من عادى الله ورسوله إلى أن قتل ببـدر كافراً قتله حمزة بن عبـد المطلب رضى الله عنه وعتبة هذا هو أبو هنـد بنت عتبـة التى لاكت كبد حمزة ابن عبد المطلب رضى الله عنه ثم لفظتها واتخذت مما قطعت منه مسكين (١) ومعضدين وخدمتين وأعطت وحشيا (٢) قاتل حمزة حلياً كان عليها من ورق وجزع وخواتيم ورق كانت فى أصابع

(١) المسك بفتح الميم الأسورة والخلاخيل من الذبل والعاج والقرون والمعضد ما عمل فى العضد من الخرز والخدمة الخلخال.

(٢) وحشى بن حرب الحبشى أحد سودان مكة مولى طعيمة ابن عدى وقيل مولى جبير بن مطعم بن عدى اسلم .

رجليها كل ذلك شماتا بحمزة رضى الله عنه من أجل أنه قتل أباها عتبة رأس الكفر فى يوم بدر وقيل بل قتله عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وانشدت هند

أعينىَّ جودا بدمع سرب
علىَّ خير خندف لم ينقلب
تداعى به رهطه قصرةً (١)
بنو هاشم وبنو المطلب

وقيل أن عليا لما فرغ من الوليد بن عتبة مال مع عبيدة على عتبة فقتلاه جميعا، وهند هذه أمر رسول الله ﷺ يوم فتح مكه بقتلها فأسلمت ولما حضرت مع النساء لتبايع بيعة الاسلام كان مما قال لهنَّ رسول الله ﷺ ولاتقتلن أولادكن فقالت وبيناهنَّ يا محمد صغارا وقتلتهن كبارا وهى أم معاوية بن أبى

(١) أورد بن هشام هذه الشطرة تداعى له رهطه غدوةً

ومما يروى عن معاوية وعناده للمسلمين ومما كتبه الاسلام أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بعث الى أهل فدك فى سنة سبعة من الهجرة يدعوهم الى الاسلام فصالحوه على نصف القرية فقبل منهم ذلك وصار نصف فدك خالصا لرسول الله لانه لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب يصرف ما يأتيه منها على أبناء السبيل وفعل مثله الخلفاء الراشدون فلما ولى معاوية الخلافة أقطعها مروان بن الحكم هذا فوهبها مروان لبنيه .

سفيان الذى قاتل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وأخذ الخلافة من الحسن بن على رضى الله عنه واستلحق (١) زياد بن سُمَيَّةَ من زنية واستخلف على الأمة ابنه يزيد القُرود ويزيد الخمور ومنهم الوليد بن عتبة بن ربيعة وقتل ببدر كافراً قتله على رضى الله عنه والوليد هذا هو خال معاوية

ومنهم شيبة بن ربيعة بن عبد شمس عم هند أم معاوية وكان يجتمع مع قريش فيما تكيد رسول الله ﷺ من الأذى وقتله الله يوم بدر فيمن قتل من أعدائه .

ومنهم أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية قائد الأحزاب الذى قاتل رسول الله ﷺ يوم أحد وقتل من خيار أصحابه سبعين مابين مهاجرى وأنصارى منهم اسد الله حمزة بن عبد المطلب ابن هاشم وقاتل رسول الله ﷺ فى يوم الخندق أيضا وكتب اليه:

« باسمك اللهم أحلف باللات والعزى وساف(٢) ونائلة وهبل لقد سرت اليك أريد استئصالكم فأراك قد اعتصمت بالخندق فكرهت لقائى ولك منى كيوم أحد »

وبعث بالكتاب مع أبى أسامة الجشمى فقرأه على النبى ﷺ أبى بن كعب رضى الله عنه فكتب اليه رسول الله ﷺ «قد أتانى كتابك وقديماً غرك يا أحمق بنى غالب وسفيههم بالله الغرور

(١) قوله يزيد القرود سمي بذلك لانه كان له قرد يلعب معه الشطرنج وكان يسميه أبا قيس .

(٢) اظنه اساف

وسيحول الله بينك وبين ما تريد ويجعل لنا العاقبة وليأتين عليك يوم اكسر فيه اللات والعزى وساف ونائلة وهبل ياسفيه بنى غالب » ولم يزل يحاد الله ورسوله حتى سار رسول الله ﷺ لفتح مكة فأتى به العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه رسول الله ﷺ وقد أردفه وذلك أنه كان صديقه ونديمه فى الجاهلية فلما دخل به على رسول الله ﷺ سأله أن يؤمنه فلما رآه رسول الله ﷺ قال له ويلك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله فقال بأبى أنت وأمى ما أوصلك وأجلك وأكرمك والله لقد ظننت أنه لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنى شيئاً. فقال يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله فقال بأبى أنت وأمى ما أوصلك وأجلك وأكرمك أما هذه ففى النفس منها شىء فقال له العباس ويلك اشهد بشهادة الحق قبل أن تضرب عنقك فشهد وأسلم فهذا حديث إسلامه كما ترى واختلف فى حسن إسلامه فقيل أنه شهد حنيناً مع رسول الله ﷺ وكانت الأزلام معه يستقسم بها وكان كهفاً للمنافقين وأنه كان فى الجاهلية زنديقاً وفى خبر عبد الله بن الزبير أنه رآه يوم اليرموك قال فكانت الروم إذا ظهرت قال أبو سفيان «إيه بنى الأصفر فاذا كشفهم المسلمون قال أبو سفيان

وبنو الأصفر الملوك ملوك الر ... وم لم يبق منهم مذكور (١)

---

(١) هذا البيت من جملة ابيات للنعمان بن امرئ القيس بن اوس بن قلابة احد ملوك الحيره

فحدث به الزبير أباه فلما فتح الله على المسلمين فقال الزبير قاتله الله يأبى الانفاقا أو لسنا خيرا من بني الأصفر . ذكر عبد الرازق عن ابن المبارك عن مالك بن مغول (بالغين) عن ابن أبجر(١) قال لما بويع لأبي بكر الصديق رضى الله عنه جاء أبو سفيان الى على رضى الله عنه فقال أغلبك على هذا الأمر أقل بيت فى قريش أما والله لاملأنها خيلا ورجالا إن شئت فقال على ما زلت عدواً للاسلام وأهله فما ضر ذلك الاسلام وأهله شيئاً انا رأينا أبا بكر لها أهلا . وذكر المدائنى عن أبى زكريا العجلانى عن أبى حازم عن أبى هريرة قال حج أبو بكر رضى الله عنه ومعه أبو سفيان بن حرب فكلم أبو بكر ابا سفيان فرفع صوته فقال ابو قحافة اخفض صوتك يا ابا بكر عن ابن حرب فقال أبو بكر يا أبا قحافة ان الله بنى بالاسلام بيوتاً كانت غير مبنية وهدم به بيوتا كانت فى الجاهلية مبنية وبيت أبى سفيان مما هدم .

(١) ابن الأبجر هو عبد الملك بن سعيد بن حيان بن ابجر

ومما يؤثر عن أبى سفيان فى نفاقه وأنه مازال عاملا على الشقاق في الاسلام ان عمر بن الخطاب وهو خليفته سمع ذات يوم صوتا ولغطا بالباب فقال لبعض من عنده أخرج فانظر من كان من المهاجرين الاولين فادخله فخرج الرسول فوجد بلالا وصهيبا وسلمان فادخلهم وكان أبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو فى عصابة من قريش جلوسا على الباب فقال يا معشر قريش أنتم صناديد العرب واشرافها وشجعانها بالباب ويدخل حبشى وفارسى ورومى فقال سهيل يا أبا سفيان أنفسكم فلوموا ولا تلوموا امير المؤمنين دعى القوم فاجابوا ودعيتم فابيتم وهو يوم القيامة اعظم درجات واكثر تفضيلا فقال ابو سفيان لاخير فى مكان يكون فيه بلال شريفاً « انتهى » نقلا عن الجاحظ

فليت شعري بعد هذا بأى وجه يبنى بيت أبي سفيان بعدما هدمه الله. وروى عن الحسن أن أبا سفيان دخل على عثمان رضى الله عنه حين صارت الخلافة اليه فقال قد صارت اليك بعد تيم وعدى فأدرها كالكرة واجعل أوتادها بنى أمية فانما هو الملك ولا أدرى ما جنة ولا نار فصاح به عثمان قم عنى فعل الله بك وفعل وأبو سفيان هذا هو ابو معاوية ولم يزل بعد اسلامه هو وابنه معاوية من المؤلفة.

ومنهم معاويه بن المغيرة بن أبي العاصى بن أمية وهو الذى جدع أنف حمزة ومثل به فيمن مثل فلما انهزم يوم أحد دخل على عثمان بن عفان رضى الله عنه ليجيره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بطلبه فأخرج من دار عثمان وأتى به رسول الله ﷺ فوهبه لعثمان وأقسم لئن وجده بعد ثلاث بالمدينة وما حولها ليقتلن فجهزه عثمان وسار فى اليوم الرابع فقال رسول الله ﷺ أن معاوية أصبح قريبا لم ينفذ فاطلبوه واقتلوه فأصابوه فأخذه زيد بن حارثه وعمار بن ياسر فقتلاه وقيل بل قتله على رضى الله عنه ومعاوية هذا هو أبو عايشة أم عبد الملك بن مروان فعبد الملك بن مروان أعرق الناس فى الكفر لأن أحد أبويه الحكم بن أبي العاصى لعين رسول الله ﷺ وطريده والآخر معاوية بن المغيرة.

ومنهم حمالة الحطب واسمها ام جميل بنت حرب بن أمية كانت تحمل أغصان العضاة (١) والشوك فتطرحها على طريق رسول الله ﷺ قاله الضحاك عن ابن عباس فقال مجاهد حمالة النميمة تحطب على ظهرها واياها عنى الله تعالى بقوله فى سورة « تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وماكسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد » عنى أن فى جيدها سلسلة من نار أى من سلاسل جهنم والجيد العنق ولما نزلت سورة تبت يدا أبى لهب وتب ماأغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد قالت امرأة أبى لهب قد هجانى محمدا والله لاهجونه فقالت

مذمما. قلينا . ودينه ابينا . وأمره . عصينا

وأخذت فهرا لتضربه به فأعشى الله عينها عنه وردها بغيظها و لم تزل على كفرها حتى هلكت.

وما أحد من هؤلاء الذين تقدم ذكرهم ألا وقد بذل جهده فى عداوة رسوو الله ﷺ وبالغ فى أذى من أتبعه وآمن به ونالوا

(١) العضاة «كل شجر له شوك»

منهم من الشتم وأنواع العذاب حتى فر منهم مهاجرين الى بلاد الحبشة ثم الى المدينة وأغلقت أبوابهم بمكة فباع أبو سفيان بن حرب بعض دورهم وقضى من ثمنها دينا عليه وهموا بقتل رسول الله ﷺ غير مرة وتناظروا فى أمره ليخرجوه من مكة أو يقيدوه ويحبسوه حتى يهلك أو يندبوا لقتله من كل قبيلة رجلا حتى يتفرق دمه فى القبائل وبالغ كل أحد منهم فى ذلك بنفسه وماله وأهله وعشيرته ونصب لرسول الله ﷺ الحبائل بكل طريق سراً وجهرا ليقتله فلما أذن الله له فى الهجرة وخرج من مكة ومعه صاحبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه الى غار ثور جعلوا لمن جاء بهما أو قتلهما ديتهما ويقال جعلوا له مائة بعير ونادوا بذلك فى أسفل مكة وأعلاها كل ذلك حسداً منهم لرسول الله ﷺ وبغيا ويأبى الله ألا تأييد رسول الله ﷺ واعلاء كلمته حتى صدق الله وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده وظهر أمر الله وهم كارهون كما ذكرت ذلك ذكرا شافيا فى كتاب امتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأحوال والحفدة والمتاع ﷺ ولله در من قال .

أَعَبْدَ شَمْسٍ قَدْ اضرمتْ لبنى هَا
شم نارا يشيبُ منها الوليد

فابن حرب للمصطفى وابن هند
لعلى وللحسين يزيد

وما الأمر ألا كما قال الأخطل

ان العداوة تلقاها وأن قدمت
كالعر يكمن أحيانا وينتشر (١)

وأقول هذا رسول الله ﷺ قد أبعد بنى أمية عنه وأخرجهم من ذوى قرباه كما خرجه الأمام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى رحمه الله فى كتاب فرض الخمس من الجامع الصحيح فقال « حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث عن عقيل عن بن شهاب عن سعيد بن المسيب عن جبير بن مطعم قال مشيت أنا وعثمان بن عفان رضى الله عنه الى رسول الله ﷺ فقلنا يارسول الله أعطيت بنى المطلب وتركتنا ونحن وهم منك بمنزلة واحدة فقال رسول الله ﷺ أنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد »

وقال الليث حدثنى يونس وزاد قال جبير ولم يقسم النبى ﷺ لبنى عبد شمس ولا لبنى نوفل قال ابن اسحاق وعبد شمس وهاشم والمطلب أخوة لأم عاتكة بنت مرة وكان نوفل أخاهم لأبيهم وذكره البخارى فى مناقب قريش أيضا وقال فى غزوة خيبر حدثنا يحى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب

(١) العر بفتح العين وضمها الجرب

عن سعيد بن المسيب أن جبير بن مطعم أخبره قال أتيت أنا وعثمان ألى النبي ﷺ فقلنا أعطيت بني المطلب من خمس خيبر وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة منك فقال أنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد قال جبير ولم يقسم النبي ﷺ لبني عبد شمس وبني نوفل شيئا وقدرج أبو داود رحمه الله هذا الحديث من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب قال حدثني جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ لم يقسم لبني عبد شمس ولا لبني نوفل شيئا من الخمس كما قسم لبني هاشم ولبني المطلب قال وكان أبو بكر رضي الله عنه يقسم الخمس نحو قسم رسول الله ﷺ غير أنه لم يكن يعطي قربى رسول الله ﷺ كما كان يعطيهم رسول الله ﷺ وكان عمر رضي الله عنه يعطيهم ومن كان بعده منه .

واعلم أن قوله عن أبي بكر رضي الله عنه أنه لم يكن يعطي ذوي القربى كما كان النبي ﷺ يعطيهم أنما هو مما كان ﷺ يعود به عليهم من سهمهم وكان حاجة المسلمين أيام أبي بكر أشد لا أنه رضي الله عنه منعهم الحق المفروض لهم الذي سماه الله تعالى ورسوله ﷺ لهم فقد أعاذه الله من ذلك. وخرج أبو داود من طريق محمد بن اسحاق عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال أخبرني جبير بن مطعم قال فلما كان يوم خيبر وضع رسول الله ﷺ سهم ذي القربى في بني هاشم وبني المطلب وترك بني نوفل وبني

عبد شمس فانطلقت أنا وعثمان بن عفان حتى أتينا رسول الله ﷺ فقلنا يارسول الله هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم للموضع الذى وضعك الله به منهم فما بال أخواننا بنى المطلب اعطيتهم وتركتنا وقرابتنا واحدة فقال رسول الله ﷺ أنا وبنو المطلب لا نفترق فى جاهلية ولا اسلام وأنما نحن وهم شىء واحد وشبك بين أصابعه وخرجه اسحاق بن راهويه عن الزهرى عن ابن المسيب عن جبير مثل ما تقدم وفيه قال فقسم رسول الله ﷺ سهم خمس الخمس من القمح والتمر والنوى وقال الحسن بن صالح عن السدى فى ذى القربى هم بنو عبد المطلب وخرج النسائى من حديث سفيان عن قيس بن مسلم قال سألت الحسن بن محمد عن قوله تعالى « واعلموا أنما غنمتم من شىء فان لله خمسه » قال هذا مفتاح كلام ولله الدنيا والآخرة» قال اختلفوا فى هذين السهمين بعد وفاة رسول الله ﷺ سهم الرسول وسهم ذى القربى فقال قائل سهم الرسول للخليفة من بعده وقال قائل سهم ذى القربى لقرابة الرسول وقال قائل سهم ذى القربى لقرابة الخليفة فاجتمع رأيهم على أن يجعلوا هذين السهمين فى الخيل والعدة فى سبيل الله فكان ذلك فى خلافة ابى بكر وعمر رضى الله عنهما.

وقد روى عن بعض طرق ابن اسحاق. عن الزهرى عن ابن المسيب أن عثمان وجبير بن مطعم كلما رسول الله ﷺ فى سهم ذى القربى وقالا قسمته بين بنى هاشم وبنى المطلب بن عبد مناف

ونحن وبنو المطلب اليكم فى النسب سواء فقال رسول الله ﷺ « إنا وهم لم نزل فى الجاهلية شيئا واحدا وكانوا معنا فى الشعب » كذا « وشبك بين أصابعه » وكان من حديث الشعب على ماذكر محمد بن اسحاق وموسى بن عقبة فذكر ابن اسحاق أن النبي ﷺ لما مضى على الذى بعث به وقامت بنو هاشم وبنو المطلب دونه وأبوا أن يسلموه وهم من خلافه على مثل ماقومهم عليه إلا أنهم أنفوا أن يستذلو او يسلمو أخاهم لمن فارقه من قومه فلما فعلت ذلك بنو هاشم وبنو المطلب وعرفت قريش ألا سبيل الى محمد ﷺ معهم أجمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بنى هاشم وبنى المطلب الاينكحوهم ولاينكحوا اليهم ولايبايعونهم ولا يبتاعوا منهم وكتبوا صحيفة فى ذلك وعلقوها بالكعبة ثم عدوا على من أسلم فأوثقوهم وآذوهم واشتد البلاء عليهم وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزالا شديدا وقال ابن عقبة واجتمعت قريش فى مكرها أن يقتلو رسول الله ﷺ علانية فلما رأى أبوطالب عمل القوم جمع بنى عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم ويمنعوه ممن أراد قتله فاجتمعوا على ذلك مسلمهم وكافرهم فمنهم من فعله حمية ومنهم من فعله إيمانا ويقينا فلما عرفت قريش أن القوم منعوا رسول الله ﷺ اجتمع المشركون من قريش واجمع رأيهم

ألا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل وكتبوا فى مكرهم صحيفة وعهودا ومواثيق ان لا يقبلوا من بنى هاشم أبدا صلحا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل فلبث بنو هاشم فى شعبهم ثلاث سنين واشتد عليهم البلاء والجهد وقطعوا عنهم الأسواق فلا تركوا طعاما يقدم مكة ولا بيعا الا بادروهم اليه فاشتروه يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذكر ابو اسحاق القصة فى دخولهم الشعب وما بلغوا من الجهد الشديد حتى كان يسمع أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع حتى كره عامة قريش ما أصابهم وأظهروا كراهتهم لصحيفتهم الظالمة .

قال موسى بن عقبه فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بنى عبد مناف ومن بنى قصي ورجال سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بنى هاشم ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم واستخفوا بالحق وأجمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءه منه وبعث الله عز وجل على صحيفتهم التى المكر فيها برسول الله ﷺ الأرضة فلحست كلما كان فيها من عهد وميثاق فلم تترك اسما لله عز وجل فيها الا لحسته وبقى ما كان فيها من شرك أو ظلم وقطيعة رحم وأطلع الله عز وجل رسوله ﷺ على الذى صنع

بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأبي طالب فقال ابو طالب لا والثواقب ماكذبني وانطلق يمشي بعصابة من بني عبد المطلب حتى أتى المسجد وهو حافل من قريش فلما رأوهم عامدين لجماعتهم أنكروا ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء فأتوهم ليعطوهم رسول الله ﷺ فتكلم أبو طالب فقال قدحدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم فأتوا بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها فلعله أن يكون بيننا وبينكم صلح وانما قال ذلك خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها فأتو بصحيفتهم معجبين بها لا يشكون أن الرسول مدفوع اليهم فوضعوها بينهم وقالوا قد آن لكم ان تقبلوا وترجعوا الى أمر يجمع قومكم فأنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه خطراً لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم

فقال أبو طالب إنما أتيتكم لأعطيكم أمرا لكم فيه نصف ان ابن أخي قد أخبرني فلم يكذبني أن الله عز وجل بريء من هذه الصحيفة التي في أيديكم ومحى كل اسم له فيها وترك فيها غدركم وقطيعتكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم فان كان الحديث الذي قال ابن أخي كما قال فأفيقوا فو الله لا نسلمنه أبداً حتى نموت من عند آخرنا وان كان قال باطلا دفعناه اليكم فقتلتم أواستحييتم قالوا قد رضينا بالذي تقول ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق

ﷺ قد أخبر خبرها فلما رأتها قريش كالذى قال أبو طالب قالوا والله ان كان هذا قط ألا سحرا عن صاحبكم فارتكسوا وعادوا لشر ما كانوا عليه من كفرهم والشدة على رسول الله ﷺ والمسلمين والقيام بما تعاهدوا عليه فقال أولئك النفر من بنى عبد المطلب ان أولى بالكذب والسحر غيرنا فكيف ترون وانا نعلم أن الذى اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجبت والسحر من أمرنا ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهى فى أيديكم طمس الله ما فيها من اسم له وما كان من بغى تركه أفنحن السحرة أم أنتم فقال النفر من بنى عبدمناف وبنى قصى ورجال من قريش ولدتهم نساء من بنى هاشم منهم أبو البخترى والمطعم بن عدى وزهير بن أبى أمية بن المغيرة وزمعة بن الأسود وهشام بن عمرو وكانت الصحيفة عنده فى رجال من أشرافهم ووجوههم نحن براء مما فى هذه الصحيفة فقال أبو جهل هذا أمر قضى بليل قال موسى بن عقبه فلما أفسد الله صحيفة مكرهم خرج رسول الله ﷺ ورهطه فعاشروا وخالطوا الناس .

فانظر رحمك الله كيف لم يجعل رسول الله ﷺ القرابة فى النسب وحدها قرابة معتبرة فى أحكام الله عز وجل ما لم تقترن بها القرابة الدينيـة فانه كما قد رأيت أخرج بنى أميـة من ذوى القربى مع كونهم بنى أبيه عبد مناف بن قصى لما كان من عداوتهم له فى دين الله تعالى وتكذيبهم لما جاء به من النبوة والرسالة وكيف جعل بنى المطلب بن عبد مناف من ذوى القربى لأجل مسالمتهم له فى

الجاهلية وتسرعهم الى مناصرته ومؤازرته وموالاته ومعاضدته وأنهم لم يربأوا بأنفسهم عن نفسه بل أمدوه بأنفسهم حيث تخلى عنه الناس ودخلوا معه الشعب مؤمنهم وكافرهم فالمؤمن دينا والكافر حمية وتأمل ذلك يظهر لك منه فائدتان إحداهما ان العبرة بقرابة الدين لا بقرابة الطين والثانية أن مجرد القرابة ليس بشيء وقد قيل أقرب الوسائل المودة وأبعد النسب البغضاء قال :

وأرى القرابة لا تقرب قاطعا

وأري المودة أكبر الأسباب

وقال الأعشى:

لا تَطْمَعُنَّ الود من متباعد

وَلا تَنْأَ مِنْ ذي بِغضة أنْ تقرَّبا

فان القريب من يقرب نفسه

لعمر أبيك الخير لامن تنسبا

فاذا أقرب الوسائل المودة وأبعد النسب العقوق وقد قال تعالى «انما المؤمنون أخوة» فقاربت ولاية الاسلام بين الغرباء .

وقال تعالى «انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح» فباعد به بين القرابة

ثم أني ماذا أقول ياعجبا كيف يستحق خلافة رسول الله ﷺ على أمته شرعا من لم يجعل له حقا فى سهم ذى القربى أم كيف يقيم

دين الله من قاتل رسول الله ﷺ ونابذه وكايده وبذل جهده في قتله وليت اذ ولي بنو امية الخلافة عدلوا وأنصفوا بل جاروا في الحكم وعسفوا واستأثروا بالفيء كله وحرموه بني هاشم جملة وزادوا في العتو والتعدي حتى قالوا انما ذو القربى قرابة الخليفة منهم وحتى قرروا عند أهل الشام أنه لا قرابة لرسول الله ﷺ يرثونه الا بني أمية فلما قام بالأمر ابو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس المنعوت بالسفاح وقتل مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلائف بني أمية وأزال دولتهم دخل عليه مشيخة من أهل الشام فقالوا والله ما علمنا أن لرسول الله ﷺ قرابة يرثونه الا بني أمية حتى وليتم فقال ابراهيم بن مهاجر

أيها الناس اسمعوا أخبركم
عجبا زاد على كل عجب
عجبا من عبد شمس أنهم
فتحوا للناس أبواب الكذب
ورثوا احمد فيما زعموا
دون عباس بن عبد المطلب
كذبوا والله ما نعلمه
يحرز الميراث الا من قرب

وحتى صعد الحجاج بن يوسف يوما أعواد منبره وقال على رءوس الأشهاد أرسولك لك أفضل أم خليفتك يعرض بأن عبد الملك بن مروان بن الحكم أفضل من رسول الله ﷺ فلما سمعه جبلة بن زهر (١) قال لله على ألا اصلى خلفه ابدا وأن رأيت من يجاهده لأجاهدنه معه فخرج مع عبد الرحمن بن الأشعث وقتل معه ولقد اقتدى بعدو الله الحجاج في كفره بن شفى(٢) الحميرى فأنه قام بمجلس هشام بن عبد الملك وقال أمير المؤمنين خليفة الله وهو أكرم على الله من رسوله فأنت خليفة ومحمد رسول الله وحتى أن يوسف بن عمر عامل هشام قال فى خطبته يوم الجمعة أن أول من فتح على الناس باب الفتنة وسفك الدماء على وصاحبه الزنيجى يعنى عمار بن ياسر رضى الله عنه فهذا كما ترى والى الله المشتكى.

وقد خرج الحاكم من حديث سفيان عن أبى سحاق عن عمرو ذى مر عن على بن ابى طالب رضى الله عنه فى قوله عز وجل « وأحلوا قومهم دار البوار » قال هما الافجران من قريش بنو

---

(١) موجود فى الاصل هكذا جعله بن « ومصحح بالهامش نقلا عن ابن الاثير » هكذا

(٢) هكذا فى الأصل ومصحح بالهامش نقلا عن ابن الاثير « ابن شقى » بالقاف

أمية وبنو المغيرة فأما بنو المغيرة فقد قطع الله دابرهم يوم بدر وأما بنو أمية فتمتعوا الى حين قال الحاكم هذا حديث صحيح وسئل على رضى الله عنه، عن بنى أمية وبنى هاشم فقال هم اكثر وانكر وامكر ونحن افصح واصبح وأسمح وقال ابو بكر بن ابى شيبة ثنا حشرج بن نباتة قال حدثنى سعد بن جمهان قلت لسفينة أن بنى أمية يزعمون أن الخلافة فيهم فقال كذب بنو الزرقاء بل هم ملوك من أشد الملوك وأول الملوك معاوية

وما زلت طول الأعوام الكثيرة أعمل فكرى فى هذا وأشباهه التى يطول ذكرها وأذاكر به من أدركت من مشيخة العلم ومن لقيت من حملة الآثار ونقلة الأخبار فلا أجد فى طول عمرى سوى رجلين أما رجل عراه ماعرانى وساءه ماقد دهانى فهو يحذو فى المقال حذوى ويشكو من الألم شكوى وأما رجل يرتع فى ميدان تقليده ويجول فى عرصات تهوره وتفنيده فلا يزيدنى على التهويل والهدر الطويل الى أن اتضح لى والحمد لله وحده سبب أخذ بنى أمية الخلافة ومنعها بنى هاشم وذلك أن أعجاز الأمور لاتزال أبدا تالية لصدورها والأسافل من كل شىء تابعة لأعاليها وكل أمر كان خافيا اذا انكشف سببه زال التعجب منه وما بعد على من بعد سبب أخذ بنى أمية الخلافة وتقدمهم فيها على بنى هاشم ألا من أجل الاعراض عن الاعتناء بتعرف أوائل ذلك وقلة البحث عن غوامضه وأن الشىء لم يوضع فى

مواضعه وانما سلك فيه الكافة الا قليلا مذهب التعصب والواجب على العاقل بعد معرفة ماخفى من المبب الاذعان والتسليم وترك الاعتراض فماذا بعد الحق الا الضلال وذلك أنه لا خلاف بين أئمة الحديث ونقاد الاخبار وعلماء السير والآثار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى وعامله على مكة أبو عبد الرحمن عتاب بن أسيد ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموى احد من أسلم يوم فتح مكة وأنه لم يزل على مكة منذ فتحها الله على رسول الله ﷺ عام ثمان من الهجرة إلى أن توفاه الله عز وجل فأقر أبو بكر الصديق رضى الله عنه عتابا حتى ماتا في يوم واحد وكان ﷺ قسم اليمن بين خمسة رجال خالد بن سعيد على صنعاء والمهاجر بن أبي أمية على كندة وزياد بن لبيد على حضرموت ومعاذ بن جبل على الجند وابا موسى الاشعرى على زبيد ورمع وعدن فكان عامل رسول الله ﷺ على صنعاء اليمن كما تقدم خالد بن سعيد بن العاصي بن أمية بن عبد شمس بعثه ﷺ اليها سنة عشر من الهجرة وقد مات باذام ليكون على صدقات اليمن فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالد على اليمن وكان

أبان بن سعيد بن العاصى بن أمية على البحرين برها وبحرها منذ عزل العلاء بن الحضرمى حليف بنى أمية وقيل بل مات رسول الله ﷺ والعلاء على البحرين وكان عمرو بن سعيد بن العاصى بن أمية على تيماء وخيبر وتبوك وفدك فلما توفى رسول الله ﷺ رجع خالد بن سعيد وأبان وعمرو عن عمالتهم فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه مالكم رجعتم عن عمالتكم ماأحد أحق بالعمل من عمال رسول الله ﷺ أرجعوا الى أعمالكم فقالوا نحن بنو أبى أحيحة لا نعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ أبدا ثم مضوا الى الشام وقاتلوا وقتلوا فى مغازيها فيقال مافتحت بالشام كورة من كور الشام الا وجد عندها رجل من بنى سعيد بن العاصى ميتا وكان أبو سفيان بن حرب بن أمية على نجران فمات رسول الله ﷺ وهو عليها وقيل بل كان على نجران لما توفى رسول الله ﷺ عمرو بن حزم بن زيد بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصارى .

قال الواقدى عن ابراهيم بن جعفر عن أبيه عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه قال توفى رسول الله ﷺ وأربعة من بنى أمية عماله عتاب بن أسيد على مكة وأبان بن سعيد بن العاصى على البحرين وخالد بن سعيد على صنعاء وأبو سفيان بن حرب على نجران قال الواقدى اصحابنا مجمعون على أن رسول الله ﷺ قبض

وأبو سفيان حاضر وقال ابن الكلبي كان أبو سفيان غائبا فلما قدم قال كيف رضيتم يابني عبدمناف أن يلي أمركم غيركم وقوم يقولون أن رسول الله ﷺ ولى أبا سفيان صدقات خولان ونخلة وولى يزيد بن أبي سفيان على نجران والله أعلم.

وكان على جرش سعيد بن القشب الأزدي حليف بني أمية فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عليها وكان المهاجر بن بني اميه بن المغيرة ابن عبد الله بن مخزوم المخزومي أخو ام سلمة ام المسلمين رضي الله عنها على صدقات كنده والصدف ثم ولاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه اليمن وكان عمرو بن العاصي بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم السهمي حين وفاة رسول الله ﷺ على عمان بعد مابعثه النبي ﷺ على سرية نحو الشام الى أخوال أبيه العاصي بن وائل من بلي يدعوهم الى الاسلام ويستنفرهم الى الجهاد ثم أمده رسول الله ﷺ بجيش فيه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم فصلوا خلفه ثم عمل عمرو بن العاصي بعد رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما وكان على الطائف عثمان بن ابي العاصي بن بشر بن عبد دهمان الثقفي ومات رسول الله ﷺ وهو عليها فاذا كان رسول الله ﷺ قد أسس هذا الاساس وأظهر بني أمية لجميع الناس بتوليتهم أعماله فيما فتح الله عليه من البلاد كيف لايقوى ظنهم ولا ينبسط رجاؤهم ولا يحتد في الولاية أملهم أم كيف لايضعف أمل بني

هاشم وينقبض رجاؤهم ويقصر أملهم وكبيراهم العباس بن عبد عبد المطلب وابن أخيه على بن أبى طالب رضى الله عنهما يريد أحدهما استعلام رسول الله ﷺ فى مرض موته عن هذا الامر هل هو فيهم أم فى غيرهم ويأبى الآخر ذلك كما خرج البخارى من حديث الزهرى قال أخبرنى عبدالله بن كعب بن مالك الانصارى أن عبد الله بن عباس أخبره أن على بن أبى طالب رضى الله عنه خرج من عند رسول الله ﷺ فى وجعه الذى توفى فيه فقال الناس يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ قال أصبح بحمد الله بارئا فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فقال له أنت والله بعد ثلاث عبد العصا وانى والله لأرى رسول الله ﷺ يتوفى من وجعه هذا وانى لأعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت اذهب بنا الى رسول الله ﷺ فلنسأله فى هذا الامر أن كان فينا علمنا ذلك وأن كان فى غيرنا علمناه فاوصى بنا فقال على أنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده وانى والله لا أسألها من رسول الله ﷺ ورواه محمد بن اسحاق عن الزهرى الا أنه لم يذكر ماقال فى العصا وزاد فى آخره فتوفى رسول الله ﷺ حين اشتد الضحى من ذلك اليوم وفى رواية وخلا العباس بعلى فقال له هل تعلم أن رسول الله ﷺ أوصى الى غيرك بشىء فقال على اللهم لا فخرج العباس الى بغلة

له حتى أتى عسكر أسامة بن زيد فلقى أبا بكر وعمر وغيرهما فقال هل أوصا كم رسول الله ﷺ بشيء قالوا لا فرجع الى على فقال أن رسول الله ﷺ مقبوض فامدد يدك أبايعك فيقال عم رسول الله ﷺ بايع ابن عم رسول الله ويبايعك أهل بيتك فان مثل هذا الامر لا يؤخر فقال يرحمك الله ومن يطلب هذا الأمر غيرنا ياعم وفى رواية ان العباس قال لعلى هلم يدك أبايعك فقال ان لى برسول الله شغلا ومن ذلك الذى ينازعنا هذا الأمر ورواية البخارى وعبد الرزاق اثبت وقال ابن سعد أنا محمد بن عمر حدثنى محمد بن عبد الله بن اخى الزهرى قال سمعت عبد الله بن حسن يحدث عمى الزهرى يقول حدثتنى فاطمة بنت الحسين قالت لما توفى رسول الله ﷺ قال العباس ياعلى قم حتى أبايعك ومن حضر فان هذا الأمر اذا كان لم يرد مثله والأمر فى أيدينا فقال على وأحد يطمع فيه غيرنا فقال العباس أظن والله سيكون فلما بويع لأبى بكر ورجعوا الى المسجد سمع على التكبير فقال ماهذا فقال العباس هذا مادعوتك اليه فأبيت على فقال على أيكون هذا فقال العباس مارد مثل هذا قط فقال محمد بن عمر قد خرج أبو بكر من عند النبي ﷺ حين توفى وتخلف عنده على وعباس والزبير فذلك حين قال عباس هذه المقالة وخرجه عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى بمعناه قال عبد الرزاق وكان معمر يقول لنا أيهما كان أصوب عندكم رأيا

فنقول العباس فيأبى ثم قال لو أن علياسأله عنها فاعطاه اياها فمنعه الناس كانوا قد كفروا قال عبدالرزاق فحدثت به ابن عيينة فقال قال الشعبي لو أن علياً سأله عنها كان خيراً له من ماله وولده وروى اسماعيل بن خالد عن الشعبي قال قال العباس لعلى رضى الله عنهما حين مرض النبي ﷺ انى أكاد أعرف فى وجه رسول الله ﷺ الموت فانطلق بنا اليه نسأله من يستخلف فان استخلف منا فذاك والا أوصى بنا فقال على للعباس كلمة فيها جفاء فلما قبض النبي ﷺ قال العباس لعلى أبسط يدك فلنبايعك فقبض يده قال الشعبي لو أن عليا أطاع العباس كان خير له من حمر النعم .

وقد رويت مع هذا الحديث أحاديث أخرى أن كانت صحيحة فلا سبيل الى ردها وأن كانت مفتعلة فقد صارت داعية الى الأمر الذى وقع النزاع وطال الخصام عليه منها مارواه ابن الكلبي عن الحكم ابن هشام الثقفى قال مات عبيد الله بن جحش عن أم حبيبة بنت أبى سفيان وكانت معه بأرض الحبشة فخطبها ﷺ الى النجاشى فدعا بالقرشين فقال من أولا كم بأمر هذه المرأة فقال خالد بن سعيد

ابن العاصى انا اولاهم بها قال فزوج نبيكم قال فزوجه ومهر عنه النجاشى أربعمائة دينار فكانت أول امرأة مهرت أربعمائة دينار وحملت الى النبي ﷺ ومعها الحكم بن أبى العاص فجعل النبى ﷺ يكثر النظر اليه فقيل يارسول الله أنك لتكثر النظر الى هذا الشاب فقال أليس بن المخزومية قالوا ابلى قال اذا بلغ بنو هذا أربعين رجلا كان الأمر فيهم وكان مروان بن الحكم اذا جرى بينه وبين معاوية بن أبى سفيان كلام قال لمعاوية انى والله لأبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة ومابقى الاعشرة حتى يكون الأمر فى فيقول معاوية أخذها والله من عين صافيـة فهذا الحديث كما تقدم وقد روى أبو بكر بن أبى شيبة من حديث عبد الله بن عمير قال قال معاوية مازلت أطمع فى الخلافة مذ قال رسول الله ﷺ أن ملكت يامعاوية فأحسن وقال وكيع عن الأعمش عن أبى صالح قال كان الحادى يحدو بعثمان رضى الله عنه ويقول

إنَّ الأميرَ بعدَهُ عَلِيّ

وفى الزُّبَيْرِ خَلَفٌ رضى

فقال كعب الأحبار بل هو صاحب البغلة الشهباء يعنى معاوية فبلغ ذلك معاوية فأتاه فقال يا أبا اسحاق ماتقول هذا وها هنا على والزبير وأصحاب محمد ﷺ قال أنت صاحبها.

وقد جاء من طرق عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « رأيت فى النوم بنى الحكم أو بنى أبى العاصى ينزون على منبرى كما تنزوا القردة » قال فما رؤى النبي ﷺ مستجمعا ضاحكا حتي توفى وعن سعيد بن المسيب قال رأى النبي ﷺ بنى أمية على منابرهم فساءه ذلك فأوحى اليه انما هى دنيا اعطوها فقرت عينه وهى قوله تعالى « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس » يعنى بلاءً للناس وقد روى أن رجلا قام الى الحسن بن على رضى الله عنهما قال « يامسود وجه المؤمنين » فقال لاتؤنبنى رحمك الله فان رسول الله ﷺ قد رأى بنى أمية يخطبون على منبره رجلا رجلا فساءه ذلك فنزلت « أنا أعطيناك الكوثر » — والكوثر نهر فى الجنة ونزلت « انا أنزلناهُ فى ليلة القدر وما أدراك ما لَيلةُ القدر لَيْلةُ القَدْر خيرٌ من الف شهر » يعنى تملك بنى أمية فحسب ذلك فاذا هو لا يزيد ولا ينقص

وعن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال اذا بلغ بنو أبى العاصى اربعين رجلا اتخذوا دين الله دغلا (١) وعباد الله خولا ومال الله دولا قال الزبير بن بكار قال عمى مصعب عن عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة بن

---

(١) بهامش الأصل دخلا

الزبير أو غير عبد الله وحدثنيه محمد بن الضحاك الحزامى عن أبيه أن عمرو بن عثمان بن عفان اشتكى وكان العواد يدخلون عليه فيخرجون وتخلف مروان بن الحكم عنده فيطيل فانكرت رملة بنت معاوية ذلك وهى امرأة عمرو بن عثمان فخرّقت كوّة واستمعت على مروان فاذا هو يقول لعمرو ما أخذ هؤلاء الخلافة إلا باسم أبيك فما يمنعك أن تنهض بحقك فلنحن أكثر منهم رجالا منا فلان ومنهم فلان ومنا فلان ومنهم فلان حتى عدّد رجالا ثم قال ومنا فلان وهو فضل وفلان وهو فضل حتى يعدد فضول رجال بنى أبى العاص على بنى حرب فلما برأ عمرو تجهز للحج وتجهزت رملة فى جهازه فلما خرج عمرو الى الحج خرجت رملة الى أبيها فقدمت عليه الشأم فقال لها معاوية واسوأتاه ومالحرة تطلق طلقك عمرو فاخبرته الخبر وقالت ومازال يَعُدّ فضل رجال بنى أبى العاص على بنى حرب حتى ابنى عثمان وخالد ابنى عمرو فتمنيت انهما ماتا فكتب معاوية الى مروان بن الحكم

أواضعَ رجْلٍ فوق أخرى تعدنا
عديد الحصا ما ان تزالُ تكاثرُ

وأمكمُ تُزجى تُوأماً لبعلها
وأم أخيكم نزْرةُ الولْد عاقرُ

وأشهد يامروان انى سمعت رسـول الله ﷺ يقول اذا بلغ ولد الحـكم ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولا ودين الله دَخَلا وعباد الله خولا فكتب اليه مروان أمابعد يامعاويه فانى أبوعشرة وعم عشرة والسلام .

وروى عن معاوية أنه قال لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما انشدك الله يا ابن عباس أما تعلم ان رسـول الله ﷺ ذكر هذا يعنى مروان بن الحكم فقال ابو الجبابرة الأربعة فقال ابن عباس اللهم نعم وقد اقتدى برسول الله ﷺ فى ولاية الأعمال أبو بكر الصديق رضى الله عنه فانه لما استخلف بعد رسول الله ﷺ وارتدت العرب قطع رضى الله عنه البعوث وعقد احد عشر لواء على احد عشر جُنداً فعقد لخالد بن الوليد المخزومى وبعثه لقتال طلَيْحة بن خُويلد الاسدى ثم مالك بن نُويْرة وعقد لعكرمة بن ابى جهل المخزومى وبعثه لقتال مُسيلمة بن ثمامـة بن المطوح بن ربيعـة بن الحـارث وعقـد للمهاجر بن أبي أمية المخزومى وبعثه لقتال جنود الاسود بن كعب بن عوف العنسى ومعونة الأبناء على قيس بن المكشوح وعقد لخالد بن سـعيد العاصى بن أمية وبعثـه إلى مشارف الشأم وعقد الى عمرو بن العاص وبعثه الى قضاعة وعقد لحذيفة بن محصن العلقانى من علقان بن شرحبيل بن عمرو بن

مالك بن يزيد ذي الكلاع وبعثه الى أهل دبا وهى مدينة قديمة من مدن عمان وعقد لعرفجة بن هرثمة وبعثه الى مهرة وبعث شرحبيل بن حسنة فى أثر عكرمة بن أبى جهل فاذا فرغ من اليمامة لحق قضاعة وعقد لطُريفة بن حاجم (١) وبعثه الى بنى سليم ومن معهم من هوازن وعقد لسويد بن مقرن بن عائذ المزنى وبعثه الى تهامة اليمن وعقد للعلاء بن الحضرمى وبعثه الى البحرين فلحق كل أمير بجنده حتى انقضت حروب الردة فبعث أبو بكر رضى الله عنه خالد بن الوليد لفتح العراق واردفه بغيلان بن غنم ابن زهير بن أبى شداد بن ربيعة بن هلال بن وهيب الفهرى

وأمدهما بالقعقاع بن عمرو وجهز الجنود الى الشأم فبعث خالد ابن سعيد بن العاصى واردفه بذى الكلاع وعكرمة بن أبى جهل وعمرو بن العاصى والوليد بن عقبة وعقد ليزيد بن أبى سفيان بن حرب على جيش عظيم هو جمهور من انتدب اليه وجهزه عوضا عن خالد بن الوليد وعقد لابى عبيدة بن الجراح وبعثه الى حمص وأمد يزيد بن أبى سفيان بأخيه معاوية بن أبى سفيان ومعه جيش فنزل أبو عبيدة الجابية ونزل يزيد البلقاء ونزل شرحبيل بن حسنة الاردن وقيل بصرى ونزل عمرو بن العاص

(١) ويسميه ابن الأثير ابن حاجز

القريات (١) ولما مات ابو بكر واستخلف من بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنهما كانت عماله على مكة نافع بن عبد الحارث الخزاعى وعلى الطائف عثمان بن أبى العاص بن أمية ثم سفيان ابن أبى عبد الله الثقفى وعلى اليمن يعلى بن مُنبه (٢) وعلى عمان واليمامة حذيفة بن محصن وعلى البحرين العلاء بن الحضرمى ثم عثمان بن أبى العاص وعلى الكوفة سعد بن أبي وقاص ثم المغيرة بن شعبة ثم عمار بن ياسر ثم أبو موسى الاشعرى وعلى البصرة المغيرة بن شعبة ثم أبو موسى الاشعرى وعلى الشام أبو عبيدة بن الجراح ثم يزيد بن أبى سفيان ثم معاوية بن ابى سفيان وعلى الجزيرة عياض بن غنم وعلى مصر عمرو بن العاص رضى الله عنهم أجمعين.

فانظر كيف لم يكن فى عمال رسول الله ﷺ ولا فى عمال أبى بكر وعمر رضى الله عنهما أحد من بنى هاشم (٣) فهذا وشبهه هو الذى حدد أنياب بنى أمية وفتح أبوابهم وأترع كأسهم وفتل

(١) القريات وأما البكرى فى كتابه معجم ما استعجم يسميها العربات بالعين المهملة

(٢ بالهامش «منية» بالياء المثناه التحتية

(٣) انما لم يجعلوا بنى هاشم عمالا لشرفهم اذ الشريف لايشارف وانما يبقى ليشاور فى الأمور المعضلة

أمراسهم حتى لقد وقف أبو سفيان بن حرب على قبر حمزة رضى الله عنه فقال رحمك الله ابا عمارة لقد قاتلتنا على أمر صار الينا وروى أن الأمر لما أفضى الى عثمان بن عفان اتى أبو سفيان قبر حمزة فركله برجله ثم قال يا حمزة أن الامر الذى كنت تقاتلنا عليه بالأمس قد ملكناه اليوم وكنا أحق به من تيم وعدي . قال كاتبه وما هى الا الدنيا وأن الدين لعارض فيها والعاجلة محبوبة وبهذا ارتفعت رءوس وضعفت نفوس فان دلائل الأمور تسبق وتباشير الخير تعرف ولله فى خلقه قضاء يمضيه ويأبى الله أن يتم شيء من أمر الدنيا الا ويعتريه النقص .

لما كانت بنو هاشم من بنى قريش اختصها الله سبحانه بهذا الأمر أعنى الدعوة الى الله تعالى والنبوة والكتاب فحازت بذلك الشرف الباقى وكانت أحوال الدنيا من الخلافة والملك ونحوه زائلة لهذا أزواها الله تعالى عنهم تنبيها على شرفهم وعلو مقدارهم فأن ذلك هو خيرة الله لنبيه محمد ﷺ كما ثبت أنه ﷺ لما خير اختار ان يكون نبيا عبداً ولم يختر أن يكون نبيا ملكا وسأل بمثل ذلك لآله كما ثبت فى الصحيحين وغيرهما من حديث عمارة عن أبى زرعة عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وروى أبو عيسى الترمذى من حديث عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم

أبى عبد الرحمن عن أبى أمامة عن النبى ﷺ قال عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا قلت لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما أو قال ثلاثا أو نحو هذا فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك وإذا شبعت شكرتك وحمدتك وقال الترمذى هذا حديث حسن وخرج البخارى من حديث ابن أبى ليلى حدثنا على رضى الله عنه أن فاطمة عليها السلام اشتكت ما تلقى من الرحى مما تطحن فبلغها أن رسول الله ﷺ أتى بسبى فأتته تسأله خادما فلم توافقه فذكرت لعائشة رضى الله عنها فجاء النبى ﷺ فذكرت ذلك عائشة له فأتانا وقد دخلنا مضاجعنا فذهبنا لنقوم فقال على مكانكما فقعد بيننا (١) حتى وجدت برد قدميه على صدرى فقال ألا أدلكما على خير مما سألتما اذا أخذتما مضاجعكما فكبرا أربعا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وسبحا ثلاثا وثلاثين فان ذلك خير لكما مما سألتما وأخرجه مسلم أيضا ولأبى داود من حديث أبى الورد عن على بن أعبد قال قال لى على رضى الله عنه الا أحدثك عنى وعن فاطمة بنت رسول الله ﷺ وكانت من أحب أهله اليه قلت بلى قال فانها جرت بالرحى حتى أثر فى يدها واستقت بالقربة حتى أثر فى نحرها وكنست البيت حتى اغبرت

(١) فقعد بيننا هذه الجملة لم تكن فى النسخة المنقول عنها لكنها واردة فى صحيح البخارى

ثيابها فاتى النبى ﷺ خدم فقلت لو أتيت أباك فسالتيه خادما فأتته فوجدت عنده حداثا فرجعت فاتاها من الغد فقال ما كان حاجتك فسكتت فقلت أنا أحدثك يا رسول الله جرت الرحى حتى اثرت فى يدها وحملت القربة حتى اثرت فى نحرها فلما أن جاء الخدم أمرتها أن تأتيك فتستخدمك خادما تقيها حر ما هى فيه فقال اتقى الله يا فاطمة وأدى فريضة ربك واعملى عمل أهلك فاذا أخذت مضجعك فسبحى ثلاثا وثلاثين واحمدى ثلاثا وثلاثين وكبرى أربعا وثلاثين فهى خير لك من خادم قالت رضيت عن الله وعن رسوله .

وفى الصحيحين وغيرهما من حديث عامر بن سعد عن أبيه عن النبى ﷺ أنه قال انى لأعطي الرجل وغيره أحب الى منه خشية أن يكب فى النار على وجهه وفى رواية فوالله أنى لأعطى الرجل وادع الرجل والذى أدع أحب الى من الذى أعطى ولكنى اعطى أقواما لما أرى فى قلوبهم من الجزع والهلع فأكل اقواما الى ما جعل الله فى قلوبهم من الغنا والخير ومن حديث أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ فانى أعطى رجالا حديثى عهد بكفر أتألفهم وروى ابن وهب عن عمرو بن الحارث أن بكر بن سوادة (١) حدثه أن أبا سالم الجيشانى حدثه عن أبى ذر رضى الله عنه

(١) او بن جناده

أن رسول الله ﷺ قال له كيف ترى جعيلا (١) قال قلت كشكله من الناس قال فكيف ترى فلانا قلت سيدا من سادات الناس قال فجعيل خير « من » ملء الأرض « ذهبا » أو ألفا ونحو ذلك من فلان قال قلت يا رسول الله ففلان هكذا وأنت تصنع به ما تصنع قال أنه رأس قومه وأنا أتألفهم به .

قال جامعه وهـذا على بن أبى طالب رضى الله عنه كان يعلم أن رسول الله ﷺ يربأ ببنى هاشم من ولاية الاعمال كما ثبت فى صحيح مسلم وغيره من حديث مالك عن ابن شهاب أن عبد الله بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب حدثه أن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث حدثه قال اجتمع ربيعة بن الحارث والعباس بن عبد المطلب فقالا والله لو بعثنا هذين الغلامين « قال لى وللفضل بن العباس » الى رسول الله ﷺ فكلماه فأمرهما على هذه الصدقات فأديا ما يؤدى الناس وأصابا مما يصيب الناس قال فبينما هما فى ذلك جاء على بن أبى طالب رضى الله عنه فوقف عليهما فذكرا له ذلك فقال لا تفعلا فوالله ماهو بفاعل

(١) هو جعيل بن سراقة الغفارى وقيل الضمرى

فانتحاه (١) ربيعة بن الحارث فقال والله ما تصنع هذا ألا نفاسة (٢) منك علينا فوالله لقد نلت صهر رسول الله فما نفسناه عليك قال على ارسلوهما فانطلقا واضطجع فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر سبقناه الى الحجرة فقمنا عندها حتى جاء فأخذ بآذاننا ثم قال أخرجا ما تسرران ثم دخل ودخلنا عليه وهو يومئذ عند زينب بنت جحش قال فتواكلنا الكلام ثم تكلم أحدنا فقال يا رسول الله أنت أبر الناس وأوصل الناس وقد بلغنا النكاح يعنى «الحلم» فجئنا لتؤمرنا على بعض هذه الصدقات فنؤدى اليك كما يؤدى الناس ونصيب كما يصيبون فسكت طويلا حتى اردنا أن نكلمه وجعلت زينب تلمع (٣) الينا من وراء الحجاب أن لا تكلماه قال ثم قال أن الصدقة لا تنبغى لآل محمد انما هى أوساخ الناس ادعو الى محمية وكان على الخمس ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب فجاءا فقال لمحمية انكح هذا الغلام ابنتك فأنكحه وقال لنوفل بن الحارث انكح هذا الغلام ابنتك لى فانكحنى وقال لمحمية أصدق عنهما من الخمس كذا وكذا فهذا أعزك الله

---

(١) انتحاه يعنى عرض له وقصده

(٢) نفاسة يعنى حسدا فما نفسناه عليك أى حسدناك عليه

(٣) تلمع يعنى تشير بثوبها أو بيدها

وان كان انما فيه منع بنى هاشم من تناول الصدقة لأنها محرمة عليهم فان رسول الله ﷺ انما كانت أعماله التى يستعمل عليها عماله على قسمين أما للحرب أو على الصدقات فمنع رسول الله ﷺ بنى هاشم من العمل على الصدقة بنصيب العامل وهو الصحيح أنهم لايستعملون عليها تنزيها لهم ولبنى المطلب عن أوساخ الناس لكرامتهم وقد كان غير واحد من فضلاء الصحابة رضى الله عنهم يعلم أن آل البيت أرفع قدرا عند الله من أن يبتليهم باعمال الدنيا منهم عبدالله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما لما خرج الحسين ابن على رضى الله عنهما يريد العراق وقد كتب اليه شيعتهم بالبيعة وحثوه على مسيره اليهم ليقوم بأمر الأمة بدل يزيد بن معاوية لحقه عبد الله على مسيرة ليلتين وقال اين تريد قال العراق قال لاتأتهم قال هذه كتبهم وبيعتهم فقال ان الله عز وجل خير نبيه ﷺ بين الآخرة والدنيا فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا وانك بضعة من رسول الله ﷺ والله لايليها أحد منكم وماصرفها الله عنكم الا للذى هو خير لكم فارجع فابى الحسين وقال هذه كتبهم وبيعتهم فاعتنقه عبد الله بن عمر وقال استودعك الله من قتيل فكان كما قال ابن عمر وكذلك قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما للحسين والله يا ابن أخى ما كان الله ليجمع لكم بين النبوة والخلافة وهذا من فقههما وقد أشار الحسن بن على رضى الله عنهما الى

ذلك فى خطبته لما ترك الخلافة التى صارت اليه بعد أبيه وتنزه عنها وترفع عن منازعة معاوية رضى الله عنه فلما دخل معاوية الكوفة اشار عليه عمرو بن العاص أن يأمر الحسن فيخطب الناس ظنا منه انه يعيا فخطب معاوية ثم أشار الى الحسن أن يخطب فقام فحمد الله ثم قال « أيها الناس ان الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وأن لهذا الأمر مدة والدنيا دول وان الله عز وجل قال لنبيه ﷺ « وإنْ أدْرى لعله فتنةٌ لكمْ ومَتاعٌ إلى حين » فلما قالها قال له معاوية اجلس وحقدها على عمرو وقال هذا من رأيك فصدق الحسن عليه السلام فيما قاله .

ذهب بعضهم الى أن السر فى خروج الخلافة بعد رسول الله ﷺ عن على بن أبى طالب الى أبى بكر وعمر ثم عثمان أن علياً لو ولى الخلافة حينئذ وهو أبو الحسنين لأوشك أن يقول قائل ويتخيل متخيل انه مُلك متوارث لايكون إلا فى أهل البيت كما تزعمه الرافضة فصان الله العقائد من هذه الشبهة كما صانها من شبهة قول القائل عن النبي ﷺ هو رجل يطلب ملك أبيه وهو معنى حسن ولهذا السر جعل ﷺ الخلافة لعامة قريش ولم يخص بها أهل بيته بل ولا بنى هاشم حتى لايتخيل انه ملك متوارث والله اعلم

وقد ظهر لى أن ولاية رسول الله ﷺ بنى أمية الأعمال

كانت اشارة منه ﷺ الى أن الأمر سيصير اليهم ولى بحمد الله في هذا النحو خير سلف واجل قدوة منهم سعيد بن المسيب رحمه الله قد ثبت فى الصحيحين من حديث أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه فى حديث جلوس رسول الله ﷺ على بئر أريس ودخول أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وجلوسهما عن يمينه وشماله معه ﷺ فى القُف ودخول عثمان بن عفان رضى الله عنه وجلوسه وجاههم من الشق الآخر وان سعيد بن المسيب قال فتأولت ذلك قبورهم اجتمعت ها هنا وانفرد قبر عثمان رضى الله عنه وثبت من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ نحر فى حجته التى يقال لها حجة الوداع ثلاثا وستين بدنة فكان فى نحره هذا العدد من البدن إشارة إلى أن مدة حياته ﷺ ثلاث وستون سنة وثبت من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إنّ أمنّ الناس علىّ فى صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا الا خلة الاسلام لا تبقين فى المسجد خوخة إلا خوخة أبى بكر » فكان أمر رسول الله ﷺ بابقاء خوخة أبى بكر رضى الله عنه فى المسجد مع منع الناس كلهم من ذلك اشارة ودليلا على خلافته بعد رسول الله ﷺ وأن ذلك من رسول الله ﷺ تنبيهاً للناس بأن أبا بكر رضى الله عنه يصير أمام المسلمين ويخرج

من بيته إلى المسجد كما كان رسول الله ﷺ يخرج .ذكره بن بطال وقد جعل جمهور الصحابة رضى الله عنهم استخلاف رسول الله ﷺ أبا بكر رضى الله عنه فى الصلاة وهو مريض دليلا واشارة الى انه الخليفة من بعد رسول الله ﷺ وقالوا قد رضيه رسول الله ﷺ لديننا أفلا نرضاه لدنيانا . وثبت فى الصحيح من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنه قال كان عمر رضى الله عنه يدخلنى مع اشياخ بدر فقال بعضهم لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله فقال أنه ممن قد علمتم قال فدعاهم ذات يوم ودعانى معهم وما أريته دعانى يومئذ إلا ليريهم منى فقال ماتقولون فى « إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا » حتى ختم السورة فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وقال بعضهم لا ندرى أو لم يقل بعضهم شيئا فقال لى يا ابن عباس اكذا هو قلت لا قال فما تقول قلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له يقول إذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة فذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره أنه كان توابا قال عمر ما أعلم

منها ألا ما تعلم فهذا فهم الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين وهم القدوة وبهم الأسوة وفقنا الله لاتباعهم.

اياك والاعتراض على ماتقدم بأخذ بنى العباس بن عبدالمطلب ابن هاشم الخلافة وأنهم أقاموا خلفاء نيفا على خمسماية سنة وعشرين سنة فان الخلافة انما صارت اليهم بعد ماضعف أمر الدين وتخلخلت أركانه (١) وتداول الناس أمر الأمة بالغلبة فأخذها حينئذ بنو العباس بأيدى عجم أهل خراسان ونالوها بالقوة ومناهضة الدول ومشاورة الملوك حتى أزال عجم خراسان دولة بنى أمية وتناولوا العز كيف كان فما وصل أمر الامة الى أهل العدالة والطهارة ولا وليهم ذوو الزهادة والعبادة ولا ساسهم أرباب الورع والامانة بل استحالت الخلافة كسرويه وقيصرية بحيث ان ابراهيم الامام ابن محمد بن على بن عبد الله بن عباس لما وجه أبا مسلم الخراسانى الى دعاته بخراسان ووصاهم أن يسمعوا له ويطيعوا قال له انك رجل منا أهل البيت احفظ وصيتى انظر هذا الحى من اليمن فأكرمهم واسكن بين أظهرهم فأن الله لا يتم هذا الأمر الا بهم وأنهم ربيعة فى أمرهم وأما مضر فأنهم العدو القريب الدار واقتل من شككت فيه وأن استطعت أن لاتدع بخراسان من يتكلم بالعربية فافعل وايما غلام بلغ خمسة أشبار

---

(١) وبعد أن امتزج بنو هاشم بالتزاوج والتناسل مع غيرهم ولم يعودوا من صميم هاشم

تتهمه فاقتله فأين أعزك الله هذه الوصية من وصايا الخلفاء الراشدين لعمالهم وتالله لو توجه أبو مسلم إلى أرض الحرب ليغزو أهل الشرك بالله لما جاز أن يوصى بهذا فكيف وانما توجه الى دار الاسلام وقتال أبناء المهاجرين والانصار وغيرهم من العرب لينتزع من أيديهم مافتحه آباؤهم من أرض الشرك ليتخذ مال الله دولا وعبيده خولا فعمل أبو مسلم بوصية ابراهيم الامام حتى غلب على ممالك خراسان وتخطت عساكره الى العراق فيقال انه قتل ستمائة الف انسان وسار فى الناس بالعسف والجبرية ثم من سيىء سيرته أنه لما قوى أمره وصار فى عسكر ودخل مرو فى شهر ربيع الأول سنة ثلاثين ومائة واستولى عليها أراد الغدر بنصر ابن سيار وقد آنسه وبسطه وضمن له أن يكف عنه ويقوم بشأنه عند الامام فبعث اليه مع لاهز بن قريط وسليمان بن كثير وعمران بن اسماعيل وداود بن كراز يعلمه أن كتابا أتاه من الامام يعده فيه ويمنيه ويضمن له الكرامة ويقول له انى أريد مشافهته وأقرأ كتاب الامام عليه يريد بذلك أنه اذا أتاه قبض عليه فلما أتته الرسل تلا لاهز قول الله تعالى « إنَّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك » فتنبه نصر على ما أراده من تحذيره فقال أنا صائر معكم الى الامير أبى مسلم ودخل بستانا له كأنه يريد أن يلبس ثيابه وركب دابته وهرب الى الرى وسأل أبو مسلم عنه فأخبر

بتلاوة لاهز الآية فقال له يالاهز أعصبية فى الدين قوما فاضربا عنقه فضربت عنق لاهز وكان سليمان بن كثير الخزاعى أحد نقباء الدعوة فقتله أبو مسلم لأنه كره سيرته وأخذ عنقود عنب وقال اللهم سود وجه أبى مسلم كما سودت هذا العنقود واسقنى دمه وقال أيضا حفرنا نهراً بأيدينا فجاء غيرنا فأجرى فيه الماء يعنى أبا مسلم وقتل زياد بن صالح من أجل انه بلغه عنه أنه يقول انما بايعنا على اقامة العدل واحياء السنن وهذا جائر ظالم يسير بسير الجبابرة وأنه مخالف وكان لزياد بلاء حسن فى اقامة الدولة فلم يرع له فغضب عيسى بن ماهان مولى خزاعة لقتل زياد ودعا لحرب أبى مسلم سراً فاحتال عليه بان دس الى بعض ثقاته بقتله فكتب اليه أن رسول أمير المؤمنين يعنى السفاح قد قدم على الأمير بخلع وبر له وللأولياء فصر الينا لتشركنا فى أمرنا فقدم عليه فأخذه وادخله جوالق وضربه بالخشب حتى قتل وكان أفلح ابن مالك بن اسماء بن خارجه الفزارى بخرسان وكان صديقا لأبى مسلم يلاعبه الشطرنج ويؤانسه وكان ذا قدر بخراسان فلما ظهرت الدعوة قدم على أبى مسلم وقال :

قُلْ للأمير أمينَ الامام

وَصِىْ وَصِىْ وَصِىْ الوصى

أتيتك لا طالباً حاجة
وما لى فى أرضكم من كفى

فكان أبو مسلم يبره ويكرمه ثم أمر بقتله فقيل له صديقك وأنيسك فقال رأيته ذا همة وأبهة فقتلته مخافة أن يحدث حدثا. وكان لا يقعد على الارض اذا قعدت على السرير ولقد كان على كريما وكنت له محبا فعير أبو جعفر المنصور أبا مسلم بقتله فيما عيره به لما عزم على قتله وكان أبو مسلم يخدم يونس بن عاصم فابتاعه منه بكير بن ماهان باربعماية درهم وبعث به الى ابراهيم الامام فلما ملك أبو مسلم مرو قدم عليه يونس ابن عاصم فاكرمه غاية الاكرام ثم دس اليه رجلا فقال سله عن حاله عندى ولم أكرمته فسأله فقال كنت قهرمانا له ناصحا فقال له ابو مسلم أبيت الا كرما فقال يا ابن اللخناء أردت أن أقول انك كنت لى خادما فتقتلنى فبالله أسألك لو لم أقلب المعنى ما كنت فاعلا قال قد والله كنت قدرت موضع خشبتك قال أكان هذا جزائى قال ومن جازيناه بجزائه وضعت سيفى فلم يبق بر ولا فاجر الا قتلته ومثل هذا كثير وما زال يسعى بجهده حتى أزال دولة بنى أمية وأقيم عبيد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس الملقب بالسفاح فبعث عمه عبد الله بن على لقتال مروان بن محمد فقتله وبطش فى أهل الشام بطش الجبارين وسار من الجور سيرة

لم يسرها أحد قبله وذلك أنه لما هزم مروان بالزاب وغلب على بلاد الشام وقتل أهل دمشق وهدم سورها وسار الى فلسطين نادى وهو على نهر أبى فطرس فى بنى أمية بالأمان فاجتمعوا اليه فعجلت الخراسانية اليهم بالعمد فقتلوهم وقتل عبد الله جماعة منهم ومن أشياعهم وامر بنبش قبر معاوية بن أبى سفيان فما وجدمنه الا خط(١) ونبش قبر يزيد بن معاوية فوجد منه سلاميات رجله ووجد من عبد الملك بن مروان بعض شؤون رأسه ولم يوجدمن الوليد وسليمان ابنى عبد الملك الارفات .ووجدهشام صحيحا إلا شيئا من أنفه وشيئا من صدغه فضرب عدة سياط وصاب ووجدت جمجمة مسلمة بن عبد الملك فاتخذت غرضا حتى تناثرت ولم يعرض لعمر بن عبد العزيز وجمع ما وجد فى القبور وأحرق وخطب عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان زوج هشام ابن عبد الملك بن مروان فابت عليه التزويج فامر بها فبقر بطنها وجعلت حين أتى بها ليبقر بطنها وتقتل تنشد :

فقل للشامتين بنا أفيقوا

سيلقى الشامتون كما لقينا

فهذه سيرة عبد الله بن على .وولى السفاح ابن أخيه ابراهيم ابن يحيى بن محمد بن على بن عبد الله سنة ثلاث وثلاثين ومائة الموصل فدخلها فى اثنى عشر الفا فأول ما بدأ به أن دعا أهل

(١) خط اوخيط

الموصل فقتل منهم اثنى عشر رجلا فنفر أهل البلد وحملوا السلاح فنادى من دخل الجامع فهو آمن فأتاه الناس يهرعون اليه فأقام الرجال على أبواب الجامع وقتل الناس فيه قتلا ذريعا تجاوز فيه الحد وأسرف فى المقدار فيقال انه قتل أحد عشر الف انسان ممن له خاتم سوى من ليس فى يده خاتم وهم عدد كثير جدا بحيث لم ينج من رجال الموصل مع كثرتهم الا نحو اربعمائة رجل صدموا الجند فافرجوا لهم فلما كان الليل سمع صراخ النساء اللاتى قتل رجالهن فأمر من الغد بقتلهن فاقام رجـاله ثلاثة أيام يقتلون النساء والصبيـان وكان فى عسكره قائد معه أربعة آلاف عبد زنجي فاخذوا النساء قهرا فلما فرغ ابراهيم من قتـل الناس فى اليوم الثالث ركب فى اليـوم الرابع وبين يديه الحراب والسيوف المسلولة فاخذت امرأة بلجام دابتـه فاراد أصحابه قتلها فكفهم عنهـا فقالت له ألست من بنى هاشم الست ابن عم رسـول الله ﷺ أما تأنف للعربيات المسلمات أن ينكحهن الزنوج فلم يجبها وبعث معها من بلغها مأمنهـا ثم جمع من الغد الزنوج للعطاء وقتلهم عن آخرهم ثم أمر بان لا يترك فى الموصل ديك الا ذبح ولا كلب الا عقر فنفذ ذلك فكانت هذه فعلة لم نسمع باقبح منهـا الا ما كان من السفاح فان زوجته أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم المخزومية قالت له يا أمـير المؤمنين لأى شى

استعرض ابن أخيك أهل الموصل بالسيف فقال لها وحياتك ما أدرى ولم يكن عنده من انكار هذا الأمر الفظيع سوى هذا ولعمرى لقد فاق فرعون فى فساده وأربى عليه فى عتوه وعناده وأن السفاح بما فعله ابن أخيه قد صار يسوم أمة محمد ﷺ من سوء العذاب أشد وأقبح ما كان فرعون يسوم بنى اسرائيل. منه فكيف بها اذا ضمت مع ماحكاه البلاذرى قال كان أبو العباس. يعنى السفاح يسمع الغناء فاذا قال للمغنى احسنت لم ينصرف من عنده الا بجائزة وكسوة فقيل له أن الخلافة جليلة فلو حجبت عنك من يشاهدك على النبيذ فاحتجب عنهم وكانت صلاته قائمة لهم فأين هذا من الهدى النبوى وسير أئمة الهدى فما أبعده عن هداهم ولله در القائل :

نزلوا بمكة فى قبائل نوفل

ونزلت بالبيداء أبعد منزل

وأما أبو جعفر عبد الله بن محمد المنصور فانه تزيى بزى الأكاسرة وجعل أبناء فارس رجالات دولتهم كبنى برمك وبنى نوبخت وأحدث تقبيل الأرض وتحجب عن الرعية وترفع عليهم بحيث أن عقال بن شبة قال له أحمد الله فقد جزت مدى الخلفاء فغضب المنصور فقال كبرت يا عقال وكبر كلامك

ففطن وقال أجل لقد احزن سهلى واضطرب عقلى وأنكرنى أهلى ولا أقوم هذا المقام بعد يومى فلم يعش المنصور بعد ذلك الا شهرين وأياما حتى أن الربيع حاجبه ضرب رجلا شمت المنصور عند العطسة فلما شكا ذلك الى المنصور قال أصاب الرجل السنة وأخطأ الادب فاين قول أبى جعفر هذا من حديث النبوة الناطقة والامامة الصادقة ووالله ما الأدب كله الا فى السنة النبويه فانها هى الجامعة للأدب النبوى والأمر الالهى لكنه غلب على القوم الجبروت ودخلت النعرة فى آنافهم وظهرت الخنزوانية بينهم فسموا عوائد العجم أدبا وقدموها على السنة التى هى ثمرة النبوة فزادهم ذلك جفاء وقسوة حتى أن أبا جعفر كان ممن بايع محمد بن عبد الله بن الحسن بن على ابن أبى طالب ليلة تشاور بنو هاشم فيمن يعقدون له الامامة وذلك حين اضطربت أمور بنى أمية فلما أقيم أبو العباس عبد الله بن محمد السفاح فى الخلافة وعهد بها عند وفاته لاخيه أبى جعفر عبد الله ابن محمد المنصور وقام من بعده بالأمر أهمه أمر محمد بن عبد الله وأخيه ابراهيم وألح على أبيهما عبد الله بن الحسن أن يحضرهما اليه لما حج وكان قد شردهما خوف جوره ثم حبس عبد الله وعدة من بنى حسن ومعهم محمد الديباج بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عفان وهو أخوهم لأمهم فاطمة بنت أبى عبد الله الحسين بن

على بن أبي طالب وجعل القيود والاغلال فى أرجلهم وأعناقهم وأركبهم محامل بغير وطاء وسار بهم كذلك من المدينة النبوية وطنهم ووطن آبائهم حتى قدموا عليه وهو بالربذه فامر بالديباج فشقت عنه ثيابه وضرب خمسين ومائة سوط فأصاب سوط منها وجهه فقال ويحك اكفف عن وجهي فانه له حرمة برسول الله ﷺ فقال المنصور للجلاد الرأس الرأس فضرب على رأسه نحوا من ثلاثين سوطا فاصاب احدى عينيه سوط منها فسالت على خده ثم قتله . ومضى ببنى حسن الى الكوفة فسجنهم بقصر ابن هبيرة وأحضر محمد بن ابراهيم بن حسن وأقامه ثم بنى عليه اسطوانة وهو حى وتركه حتى مات جوعا وعطشا ثم قتل أكثر من معه من بنى حسن وكان ابراهيم الغمر بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب فيمن حمل مصفدا بالحديد من المدينة الى الأنبار وكان يقول لأخوته عبد الله والحسن أعوذ بالله من مناطيهن منايا تمنينا ذهاب سلطان بنى أمية واستبشرنا بسلطان بنى العباس ولم يكن قد انتهت بنا الحال الي ما نحن عليه .

وقد قتل أبو جعفر أيضا اسماعيل الديباج بن ابراهيم الغمر ومحمد بن ابراهيم قبل دفنه حيا .

وكان لابى القاسم الرسى بن ابراهيم طباطبا بن اسماعيل الديباج ضيعة بالمدنية يقال لها الرس فلم يسمح له أبو جعفر بالمقام

يها حتى طلبه ففر الى السند وقال

لم يروه ما أراق البغى من دمنا

فى كل أرض فلم يقصر من الطلب

وليس يشفى غليلا فى حشاه سوى

أن لايرى فوقها ابن لبنت نبى

وكتب صاحب السند الى أبى جعفر أنه وجد فى خان بالمولتان مكتوبا يقول القاسم بن ابراهيم طباطبا العلوى انتهيت الى هذا الموضع بعد أن انتعلت الدم من المشى وقد قلت

عسى منهل يصفو فتروى ظمئة

أطال صداها المشرب المتكدر

عسى جابر العظم الكسير بلطفه

سيرتاح للعظم الكسير فيجبر

عسى صور أمسى لها الجور حاقناً

سيبعثها عدل يجى فتظهر

عسى الله لاتيأس عن الله أنه

ييسر منه ما يعز ويعسر؟

فكتب اليه قد فهمت كتابك وأنا وعلى وآهله كما قيل

نحاول اذلال العزيز لأنه

بدأنا بظلم واستمرت مرائره

واستحلف ريطة امرأة ابنه محمد المهدى أن لا تفتح بيتاعرضه عليها الا مع المهدى بعد وفاته ففتحته مع المهدى فاذا فيه من قتل من الطالبيين وفى آذانهم رقاع فيها أنسابهم وفيهم أطفال فأمر المهدى فحفرت لهم حفرة ودفنوا فيها فاين هذا الجور والفساد من عدل الشريعة المحمدية وسيرة أئمة الهدى وأين هذه القسوة الشنيعة مع القرابة القريبة من رحمة النبوة وتالله ما هذا من الدين فى شىء بل هو من باب قول الله سبحانه « فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم

وكان أبو الجهم بن عطية مولى باهلة من أعظم الدعاة قدرًا وأعظمهم غناء وهو الذى أخرج أبا العباس السفاح من موضعه الذى أخفاه فيه أبو سلمه حفص بن سليمان الخلال وحرسه. وقام بأمره حتى بويع بالخلافة فكان أبو العباس يعرف له ذلك وكان أبو مسلم يثق به ويكاتبه فلما استخلف أبو جعفر المنصور وجار فى أحكامه قال أبو الجهم ما على هذا بايعناهم أنما بايعناهم على العدل

فأمرها أبو جعفر فى نفسه ودعاه ذات يوم فتغدى عنده ثم سقاه شربة من سويق لوز فلما وقعت فى جوفه هاج به وجع فتوهم أنه قد سم فوثب فقال له المنصور الى أين يا أبا الجهم فقال الى حيث أرسلتنى ومات بعد يوم أو يومين فقال

أحذر سويق اللوز لاتشربنه

فشرب سويق اللوز أردى أبا الجهم

واما غدره بأبى مسلم فغير خاف على رواة الأخبار وكان أشد ما يحقده عليه كتابه اليه «أما بعد فاني اتخذت أخاك اماما وكان فى قرابته برسول الله ﷺ ومحله من العلم على ما كان ثم استخف بالقرآن وحرفه طمعاً فى قليل من الدنيا قد نعاه الله لأهله ومثلت له ضلالته على صورة العدل فأمرنى أن أجرد السيف وآخذ بالظنة و لاأقبل معذرة وأن اسقم البرىء وأبرىء السقيم وأثر أهل الدين فى دينهم وأوطأنى فى غيركم من أهل بيتكم العشوة بالأفك والعدوان ثم أن الله بحمده ونعمته استنقذنى بالتوبة وكره الى الحوبة فأن يعف فقديما عرف ذلك منه وأن يعاقب فبذنوبى وما الله بظلام للعبيد » فكتب اليه أبو جعفر قد فهمت كتابك والعدل على أهل بيته لطاعته ونصرته ومحاماته وجميل بلائه مقال ولم يرك الله فى طاعتنا الا ماتحب فراجع أحسن نيتك وعملك ولا يدعونك ما

نكرته الى التجنى فأن المغيظ ربما تعدى بالقول فأخبر بما لايعلم والله ولى توفيقك وتسديدك فاقدم رحمك الله مبسوطا فى أمرنا محكما فيما هويت الحكم فيه ولا تشمت الأعداء بك وبنا أن شاء الله » فقدم عليه وقتله فانظر أعزك الله ألى كتاب أبى مسلم يفصح لك عن سيره القوم ولن تجد أخبر بهم منه ثم انظر الى كتاب أبى جعفر جوابا له كيف لم ينكر عليه مارماهم به ولا كذبه فى دعواه ذلك يحقق عندك صدقه ولا يوحشك هذا من أخبارهم بل ضمه ألى وصية ابراهيم الامام تجدهما قد خرجا من إل واحد وكان عبد الله بن دادبه وهو المقفع قد كتب لعبدالله بن على أمانا حين أجاب أبو جعفر الى امانه فكان فيه فأن عبدالله (ابن)(١) عبد الله أمير المؤمنين إن لم يف بما جعل لعبدالله بن على فقد خلع نفسه والناس فى حل وسعة من نقض بيعته فانكر أبو جعفر ذلك وأكبره واشتد له غيظه على ابن المقفع وكتب الى سفيان بن معاوية عامله على البصرة اكفنى ابن المقفع ويقال انه شافهه بذلك عند توديعه اياه فجاءه ابن المقفع يوما فادخله حجرة ثم سجر له تنورا فالقاه فيه وهو يصيح يا أعوان الظلمة وقيل أنه القى فى بئر وأطبق عليه حجر وقيل أدخل حماماً فلم يزل فيه حتى مات وقيل دقت عنقه وقطع عضواً عضواً وألقيت اعضاؤه فى النار وهو يراه ويصيح صياحا

---

(١) كلمة ابن بين القوسين ليست فى الاصل .

شديداً وقيل ألقي في بئر النورة في الحمام وأطبق عليه صخرة فمات وشكا بنو علي بن عبد الله ما صنع سفيان بابن المقفع الى أبي جعفر المنصور فأمر بحمل سفيان اليه فلما جيء به وجاء عيسى ابن علي وغيره ليشهدوا عليه أن ابن المقفع دخل داره فلم يخرج وصرفت دوابه وغلمانه يصرخون وينعونه وجاء عيسى بتاجرين يثبتون الشهادة على قتله فقال لهم المنصور أرأيتكم أن أخرجت ابن المقفع اليكم ماذا تقولون فانكروا عن الشهادة وكف عيسى عن الطلب بدم ابن المقفع وكان سديف بن ميمون مولى آل أبي لهب (١) مائلا الى أبي جعفر فلما استخلف وصله بالف دينار ثم أنه اتصل بمحمد وابراهيم ابني عبد الله بن حسن حتى قتلا فاختفى حتى امنه عبد الصمد بن علي والي المدينة فلما قدمها أبو جعفر جد في طلبه حتى ظفر به فجعله في جوالق وضرب حتى كسر ثم رمى به في بئر وبه رمق حتى مات فهذا وأمثاله من سيرته خلاف سنن الهدى وكان الفضل بن الربيع يمنع عائد الخليفة أن يسأل عن شيء يقتضي جوابا ويقول اجعلوا عيادتكم دعاء فاذا أردت أن تقول كيف أصبح الامير فقل صبح الله الأمير بالكرامة وان أردت السؤال عن حاله فقل انزل الله على الامير الشفاء والرحمة فان المسألة توجب الجواب وان لم يجبك اشتد عليك وان أجابك

---

(١) بهامش الأصل مكتوب آل المهلب

اشتد عليه وكانت الخلفاء اذا عطست شمتت فعطس هرون
الرشيد فشمته رجل فقال له الفضل لا تعد اتكلف امير المؤمنين
ردا وجوابا فجروا على ذلك فيما بعد .

وهذا المأمون عبد الله بن هارون الرشيد قد أثر في الاسلام
أقبح أثر وهو انه عرب كتب الفلسفة حتى كاد بها أهل الزيغ
والالحاد الاسلام وأهله وحمل مع ذلك الناس كافة على القول
بخلق القرآن وامتحنهم فيه أشد محنة وأكثر من شراء الأتراك
وتغالى في أثمانهم حتى كان يشترى المملوك منهم بمائتى الف درهم
واقتدى به أخوه أبو اسحاق المعتصم فاشتد على الناس في
امتحانهم بالقول بخلق القرآن وانتهك اعراضهم وبرح
بالضرب الشديد أبشارهم وأخرج العرب قوم رسول
الله ﷺ الذين أقام الله بهم دين الاسلام من الديوان
وأسقط عطاءهم فسقط ولم يفرض لهم بعده عطاء وأقام بدلهم
الأتراك وخلع لباس العرب وزيهم ولبس التاج وتزى بزى العجم
الذين بعث الله نبيه محمد ﷺ بقتالهم وقتالهم فزالت به وعلى يديه
الدولة العربية وتحكم منذ عهده وأيام دولته الأتراك الذين أنذر
رسول الله ﷺ بقتالهم فغلبوا من بعده على الممالك وسلطهم الله
على ابنه جعفر المتوكل فقتلوه ثم قتلوا ابن ابنه احمد المستعين
وتلاعبوا بدين الله وتغلبوا على الأطراف كلها وفعل المتوكل

جعفر بن المعتصم فى خلافته من الانهماك في الترف المنهى عنه ما يقبح مثله من آحاد الرعية وجهر بالسوء من القول فى أمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله عنه حتى قتله الله بيد أعوانه وأنصار دولته فقام من بعده ابنه محمد المنتصر فأتى بطاقة لم يسمع فى الجور نظيرها وهو أنه كتب الى الآفاق بأن لا يقبل علوى ضيعة ولا يركب فرسا الى طرف من الأطراف وأن يمنعوا من اتخاذ العبيد ألا العبد الواحد ومن كان بينه وبين أحد من الطالبين خصومة من سائر الناس قبل قول خصمه فيه ولم يطالب(١) ببينه وقرىء هذا الكتاب على منبر مصر فبالله هل سمع فى أخبار الجائرين أهل العناد والشقاق بمثل ما أمر به هذا الجائر. لاجرم أن الله أخذه ولم يمهله فكانت دولته ستة أشهر ومازالت أمور الاسلام تتلاشى والدولة تضعف الى أن انتقل الملك والدولة فى آخر أيام المتقى ابراهيم بن جعفر المقتدر واول أيام خلافة المستكفى عبدالله بن المكتفى من بنى العباس الى بنى بويه الديلمى (٢) فلم يبق بيد بنى العباس من الخلافة الا اسمها فقط من غير تصرف فى ملك بحيث صار الخليفة منهم فى مدة الدولة البويهية ثم فى الدولة السلجوقية انما هو كأنه رئيس الاسلام لا أنه ملك ولا

(١) فى الاصل يطلب
(٢) » » الديلم

حاكم تتحكم فيه الديلم ثم السلجوقية كتحكم المالك فى مملوكه كما هو معروف فى كتب التاريخ وما زالت ضعفة بنى العباس مع الديلم ومع الاتراك منذ استولى معز الدولة أحمد بن بويه ببغداد فى جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة تحت الحكم الى ان قتلوا عن آخرهم وسبي حريمهم وهدمت قصورهم وهلكت رعاياهم على يد عدو الله هولاكو وكانوا هم السبب فى ذلك كما قد ذكر فى سيرة الناصر احمد بن المستضيء وقد ثبت فى الصحيح من حديث معاوية انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر فى قريش لا يعاديهم أحد الا اكبه الله على وجهه ما أقاموا الدين » وروى وكيع عن كامل أبى العلاء عن حبيب بن أبى ثابت عن عبيد الله بن عبد الله عتبة قال قام رسول الله ﷺ فقال يا معشر قريش أن هذا الامر لا يزال فيكم حتى تحدثوا أعمالا تخرجكم منه فاذا فعلتم ذلك سلط الله عليكم شر خلقه فالتحوكم كما يلتحى القضيب وهو حديث مرسل وعبيد الله هذا هو بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود وأبو عبد الله الهذلى المدنى الاعمى أحد الفقهاء السبعة مات سنة تسع وتسعين.

وقد اتفق فى الخلافة الاسلامية كما اتفق فى الملة الموسوية حذو القذة بالقذة وذلك ان العرب كلها ترجع الى قحطان وعدنان فيقال لسائر قحطان اليمن ويقال لسائر بنى عدنان المضرية والزارية

وافخاد وفصائل وما بينهما من الآباء يعرفها أهلها قال الله جلت قدرته « يا أيهـا الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » فالشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو أكبر من القبيلة وقيل الشعب هو الحى العظيم مثل ربيعة ومُضر والأوس والخزرج سموا بذلك لتشعبهم واجتماعهـم كتشعب أغصان الشجر وقيل الشعب القبيلة نفسها وقد غلبت الشعوب بلفظ الجمع على جيل العجم حتى قيل لمحتقر أمر العرب شعوبى والقبائل جمع قبيلة والقبيلة من الناس بنو أب واحد وهى دون الشعب كبكر من ربيعة وتميم من مضر وقيل القبيلة الجماعة التى تكون من واحـد ويقال لكل جمع على شىء واحـد قبيل . قال تعالى « إنه يراكم هو وقبيلـه من حيث لا ترونهـم » واشتقت القبيلـة من قبـائل الشجر وهى اغصـانهـا وقيـل أخذت من قبـائل الرأس وهى أطباقهـا الأربع لأن العمائر تقـابلت عليهـا والعمائر واحدها عمارة وهى أصغر من القبيلة وقيل العمارة هى الحى العظيم الذى يقوم بنفسه فدودان (١) إبن أسد عمارة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطون واحدها بطن وهو دون القبيلة وقيل دون الفخذ وفوق العمارة فالبطن يجمع الافخاذ وفخذ الرجل حيه من

(١) ذودان

أقرب عشيرته اليه ثم الفخذ يجمع الفصائل وفصيلة الرجل عشيرته ورهطه الادنون وقيل الفصيلة أقرب آباء الرجل اليه فكنانة قبيلة وقريش عمارة . وقصى بطن وهاشم فخذ . وبنو العباس فصيلة

وكما أن الله جعل العرب شعوبا وقبائل فقد جعل بنى اسرائيل اسباطا فالسبط من بنى اسرائيل كالقبيلة من العرب وبنو اسرائيل وهو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل صلوات الله عليهم اثنا عشر سبطا وهم يوسف النبي وبنيامين وكاد ويهوذا ونفتالى وزبولون وشمعون وروبين ويساخار ولاوى وزان وياشر . فكل ولد من هؤلاء الاثنى عشر يقال له سبط . ومنهم كلهم سائر بنى اسرائيل فاذا عرفت ذلك فاعلم أن موسى صلوات الله عليه هو موسى بن عمران بن قاهت بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم فهو من سبط لاوى فلما مات لم يخلفه فى بنى اسرائيل أحد من سبط لاوى الذين هم قرابته القريبة وانما خلفه يوشع وهو من سبط افرائم بن يوسف وهو بعيد من سبط لاوى وذلك أنه يوشع بن نون بن اليشماع بن عميهود بن لعدان بن تالح بن راشف بن بريعا بن افرائم بن يوسف النبي بن يعقوب عليهما السلام وهكذا وقع فى الاسلام فان رسول الله ﷺ سيد بنى هاشم هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر

إبن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بلا خلاف فى ذلك ولما توفى رسول الله ﷺ لم يخلفه فى أمته أحد من بنى هاشم الذين هم أقرب العرب اليه بل خلفه ﷺ أبو بكر الصديق رضى الله عنه وهو من بنى تيم بن مرة بن كعب فانه أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة فانظر كيف كان ابو بكر خليفة رسول الله ﷺ فى البعد من جذم رسول الله ﷺ كبعد يوشع من أصل موسى عليه السلام فان ابا بكر رضى الله عنه انما يلتقى مع رسول الله ﷺ فى مرة ابن كعب بن لؤى بعد عدة آباء وكذلك يوشع انما يلتقى مع موسى فى يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام بعد عدة آباء وكما انه قام بامر بنى اسرائيل بعد يوشع خليفة موسى جماعة مختلفو الانساب بعضهم من سبط يهوذا وبعضهم من سبط يشاخار وبعضهم من سبط بنيامين وبعضهم من سبط منشا بن يوسف وبعضهم من سبط غاث (١) وبعضهم من سبط زان كذلك قام بالخلافة بعد أبى بكر رضى الله عنه جماعة مختلفة أنسابهم بعضهم من بنى عدى وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن

(١) بالهامش كاد

رباح (١) بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب وبعضهم من بنى أبى العاص(٢) بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى وهو عثمان بن عفان بن أبى العاص وبعضهم من بنى هاشم وهما على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى وابنه الحسن بن على بن أبى طالب رضوان الله عليهم وبعضهم من بنى حرب ابن أمية بن عبد شمس وهم معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية وابنه يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان وبعضهم من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب وهو عبد الله ابن الزبير بن العوام بن أسد بن عبد العزى وبعضهم من بنى الحكم ابن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس وهم مروان بن الحكم وابنه عبد الملك بن مروان وبنوه وكما أن بنى اسرائيل استقر امرهم بعد من ذكرنا فى يهوذا كذلك استقرت الخلافة بعد من ذكرنا فى بنى العباس وكما أن يهوذا عم موسى عليه السلام كذلك العباس بن عبد المطلب بن هاشم هو عم رسول الله ﷺ وكما أن يهوذا قدمه يعقوب على أخوته وبشره ومدحه كذلك العباس رضى الله عنه كان رسول الله ﷺ يجله ويكرمه ويثنى عليه وكما

(١) بالهامش رباح بالباء الموحدة

(٢) بالهامش من بنى العاص

أن أمر بنى اسرائيل افترق فى دولة بنى يهوذا وصاروا بعد موت سليمان بن داود عليهما السلام فرقتين فرقة بالقدس مع ابنه رحبعم بن سليمان وهم يهوذا وسبط بنيامين وفرقة بشمرون مع يربعام بن نباط وهم بقية الاسباط كذلك لما صارت الخلافة فى بنى العباس افترق أمر الأمة فصار فى الانبار ثم فى بغداد بنوا العباس وفى الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم وبنوه من بعده فلم تدخل الأندلس تحت طاعة بنى العباس كما لم تدخل شمرون تحت حكم سبط يهوذا وكما أن مدينة القدس التى هى دار ملك بنى يهوذا كانت تدعى أورشليم ومعناه دار السلام كذلك دار ملك بنى العباس كان يقال لها دار السلام وكما أن دوله يربعام من بعده بشمرون التى عرفت اليوم بنابلس إنقرضت قبل دولة بنى يهوذا بالقدس فانها لم تقم غير مائتين وأحدى وستين سنة فكذلك دولة بنى أمية بالأندلس فأنها انقرضت قبل انقراض دوله بنى العباس فكانت مدتهم مائتين وسبع وستين سنة وكما أن دولة بنى يهوذا بالقدس أقامت من عهد داود عليه السلام وهو أول من ملك منهم الى أن انقرضت نحوا من خمسمائة سنة فانها أقامت أربع ماية وعشر سنين كذلك بنو العباس أقامت خلافتهم منذ أبى العباس عبد الله السفاح أول قائم منهم الى أن انقرضت أيامهم خمسماية وأربعا وعشرين سنة وكما أن دولة بنى

يهوذا انقرضت على يد بخت نصر فانه سار اليهم من بلاد المشرق وقاتلهم وهدم مدينة القدس دار ملكهم وقتل رجالهم وسبي نساءهم فكذلك زالت دولة بني العباس على يد هولاكو لما قدم الى بغداد من بلاد المشرق فقتل الرجال وسبي النساء وكما أن أمر بني اسرائيل لم يجتمع بعد زوال دولتهم لواحد يقوم بدينهم كذلك أمة محمد ﷺ لم يجتمع بعد انقراض خلافة بني العباس لواحد بل صار في كل قطر ملك وكما عاد لبني اسرائيل بعد ازالة بخت نصر دولتهم ملك كانوا فيه تحت يد اليونان وغيرهم مدة عمارة بيت المقدس بعد عودهم من الجالية كذلك أقام الأتراك ملوك مصر رجلا من بني العباس جعلوه خليفة وليس له أمر ولا نهي ولا نفوذ كلمة وكما أن بني اسرائيل قوم موسى عليه السلام قطعهم الله في الأرض أمما كذلك قريش قوم رسول ﷺ تفرقوا في أقطار الأرض وصاروا رعية ورعايا ليس لهم ملك ولا دولة وكما أن أنساب بني اسرائيل جهلت بأسرها الا بعض بني يهوذا فان نسبهم يتصل بداود عليه السلام كذلك قريش جهلت في هذه الأيام أنساب جميع بطونها الا ماكان من بني حسن وحسين فأن انساب كثير منهم متصلة الى على بن أبي طالب رضي الله عنه .

فانظر أعزك الله كيف تشابه أمر هذه الأمة المحمدية بأمر الأمة الموسويه وقد أنذر بذلك رسول الله ﷺ وكان هذا من أعلا

نبوته ﷺ كما بينته فى كتاب إمتاع الاسماع بما للرسول من الأنباء والأحوال والحفدة والمتاع صلى الله عليه وسلم

ثبت فى غير موضع من الصحيحين وغيرهما من حديث زيد ابن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم» قلنا يارسول الله اليهود والنصارى قال. فمن هذا لفظ مسلم ولفظ البخارى لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا ذراعا حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم الحديث بمثله. وفى لفظ له لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه قلنا يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن ولبقى بن مخلد من حديث أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال لتتبعن سنن من كان قبلكم باعا بباع وذراعا بذراع وشبرا بشبر حتى لو دخلوا فى جحر ضب لدخلتم معهم قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن والله أعلم

تم وكمل بحمد الله وبعونه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا آمين

قد انتهيت من نسخ هذه النسخة منسوخة من نسخة مكتوب بآخرها مانصه انها منسوخة عن نسخة مكتوب بآخرها ما يأتى

تم كتاب النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم تأليف الشيخ الامام العالم العلامة العمدة حافظ العصر ومؤرخ الوقت ابي العباس احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن تميم المقريزي الشافعي تغمده الله تعالى برحمته واسكنه فسيح جنته وأعاد علينا من فوائد علومه وبركته وجعله رفيقا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين على التمام والكمال ونعوذ بالله من الزيادة والاختلال والحمد لله وحده وصلى الله من لانبي بعده محمد وآله وصحبه والناس بين نقلت هذه النسخة من نسخة نقلت من خط المؤلف في خامس عشر ذي القعدة سنة ١١٣١ﻫ واحد وثلاثين ومائة وألف. كتبه الفقير علي بن السيد محمد الشيلاوي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين

رسالة للجاحظ فى بنى امية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الجاحظ

أطال الله بقاءك وأتم نعمته عليك وكرامته لك اعلم ارشد الله أمرك ان هذه الأمة قد صارت بعد اسلامها والخروج من جاهليتها الى طبقات متفاوتة ومنازل مختلفة فالطبقة الاولى عصر النبي ﷺ وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما وست سنين من خلافة عثمان رضى الله عنه كانوا على التوحيد الصحيح والاخلاص المخلص(١) مع الألفة واجماع الكلمة على الكتاب والسنة وليس هناك عمل قبيح ولا بدعة فاحشة ولا نزع يد من طاعة ولا حسد ولا غل ولا تأول حتى كان الذى كان من قتل عثمان رضى الله عنه وما انتهك منه ومن خبطهم أياه بالسلاح وبعج بطنه بالحراب وفرى أوداجه بالمشاقص وشدخ هامته بالعمد مع كفه عن البسط ونهيه عن الامتناع مع تعريفه لهم قبل ذلك من كم وجه يجوز قتل من شهد الشهادة وصلى القبلة وأكل الذبيحة ومع ضرب نسائه بحضرته

(١) لعله المحض

واقتحام الرجال على حرمته مع اتقاء نائلة بنت الفرافصة عنه بيدها حتى (١) اطنوا أصبعين من أصابعها وقد كشفت عن قناعها ورفعت عن ذيلها ليكون ذلك ردعا لهم وكاسرا من غربهم مع وطئهم في أضلاعه بعد موته والقائهم على المزبلة جسده مجردا بعد سحبه وهي الجزرة التي جعلها رسول الله ﷺ كفؤا لبناته وأياماه وعقائله بعد السب والتعطيش والحصر الشديد والمنع من القوت مع احتجاجه عليهم وافحامه لهم ومع اجتماعهم على أن دم الفاسق حرام كدم المؤمن الا من ارتد بعد الاسلام أو زنى بعد احصان أو قتل مؤمنا على عمد أو رجل عدا على الناس بسيفه فكان في امتناعهم منه عطبة ومع اجتماعهم على أن لا يقتل من هذه الأمة مولى ولا يجهز منها على جريح ثم مع ذلك كله ذفروا عليه وعلى أزواجه وحرمه وهو جالس في محرابه ومصحفه يلوح في حجره لن يرى أن موحدا تقدم (٢) على قتل من كان في مثل صفته وحاله لا جرم لقد احتلبوا به دما لا تطير رغوته ولا تسكن فورته ولا يموت ثائره ولا يكل طالبه وكيف يضيع الله دم وليه والمنتقم له وما سمعنا بدم بعد دم يحيى بن زكريا عليهما السلام غلا غليانه وقتل سافحه وأدرك بطائلته وبلغ كل محبته كدمه رحمة الله عليه ولقد كان لهم في أخذه وفي اقامته للناس والاقتصاص منه وفي بيع ما ظهر من رباعه

(١) اطنوا أي قطعوا (٢) لعله يقدم

وحدائقه وسائر أمواله وفى حبسه عما بقى عليه وفى طمره حتى لا يحس بذكره ما يغنيهم عن قتله أن كان قد ركب كل ما قذفوه به وادعوه عليه وهذا كله بحضرة جلة المهاجرين والسلف المتقدمين والانصار والتابعين ولكن الناس كانوا على طبقات مختلفة ومراتب متباينة من قاتل ومن شاد على عضده ومن خاذل عن نصرته والعاجز ناصر بأرادته ومطيع بحسن نيته وأنما الشك منافيه وفى خاذله ومن أراد عزله والاستبدال به فأما قاتله والمعين على دمه والمريد لذلك منه فضلال لاشك فيهم ومراق لا امتراء فى حكمهم على أن هذا لم يعد منهم الفجور اما على سوء تأويل واما على تعمد للشقاء ثم مازالت الفتن متصلة والحروب مترادفة كحرب الجمل وكوقائع صفين وكيوم النهروان وقبل ذلك يوم الزابوقة (١) وفيه أسر ابن حنيف (٢) وقتل حكيم بن جبلة الى أن قتل اشقاها عليا بن ابى طالب رضوان الله عليه فأسعده الله بالشهادة وأوجب لقاتله النار واللعنة ألى ان كان من اعتزال الحسن عليه السلام الحروب وتخلية الامور عند انتشار أصحابه وما رأى من الخلل فى عسكره وما عرف من اختلافهم على أبيه وكثرة تلونهم عليه فعندها استوى معاوية على الملك واستبد على بقية الشورى وعلى جماعة المسلمين من الانصار والمهاجرين فى العام الذى سموه عام الجماعة وما كان عام جماعة بل كان عام فرقة

(١) الزابوقة موضع قرب البصرة (٢) وفى نسخة ابو حنيفة

وقهر وجبرية وغلبة والعام الذى تحولت فيه الأمامة ملكا كسرويا والخلافة غصبا قيصريا ولم يعد ذلك أجمع الضلال والفسق ثم مازالت معاصيه من جنس ماحكينا وعلى منازل مارتبنا حتى رد قضية (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ردا مكشوفا وجحد حكمه جحدا ظاهرا فى ولد الفراش ومايجب للعاهر مع اجماع الأمة أن سمية لم تكن لابى سفيان فراشا وأنه انما كان بها عاهرا فخرج بذلك من حكم الفجار الى حكم الكفار ، وليس قتل حجر بن عدى و اطعام عمرو بن العاص خراج مصر وبيعة يزيد الخليع والاستئثار بالفىء واختيار الولاة على الهوى وتعطيل الحدود بالشفاعة والقرابة من جنس جحد الاحكام المنصوصة والشرائع المشهورة والسنن المنصوبة وسواء فى باب ما يستحق من الكفار جحد الكتاب ورد السنة إذا كانت السنة فى شهرة الكتاب وظهوره الا أن أحدهما أعظم وعقاب الآخرة عليه أشد. فهذه أول كفرة كانت من الامة ثم لم تكن لافيمن يدعى أمامتها والخلافة عليها على أن كثيرا من أهل ذلك العصر قد كفروا بترك اكفاره وقد أربت عليهم نابتة عصرنا ومبتدعة دهرنا فقالت لاتسبوه فأن له صحبة. وسب معاوية بدعة ومن يبغضه فقد خالف السنة فزعمت أن من السنة ترك البرآءة ممن جحد السنة ثم الذى كان من يزيد ابنه ومن عماله وأهل نصرته ثم

(١) الحديث. الولد للفراش وللعاهر الحجر

غز ومكة ورمى الكعبة واستباحة المدينة وقتل الحسين عليه
السلام فى اكثر أهل بيته مصابيح الظلام وأوتاد الاسلام بعد
الذى اعطى من نفسه من تفريق اتباعه والرجوع الى داره وحرمه
أو الذهاب فى الارض حتى لايحس به أو المقام حيث أمر به فأبوا
ألاقتله والنزول على حكمهم وسواء قتل نفسه بيده أواسلمها الى
عدوه وخير فيها من لايبرد غليله إلا بشرب دمه فأحسبوا قتله
ليس بكفر وأباحة المدينة وهتك الحرمة ليس بحجة كيف تقولون
فى رمى الكعبة وهدم البيت الحرام وقبلة المسلمين فأن قلتم ليس
اذلك أرادوا بل انما أرادوا المتحرز به والمتحصن بحيطانه فماكان فى
حق البيت وحريمه ان يحصروه فيه الى ان يعطى بيده وأى شيئ بقى من
رجل قد أخذت عليه الارض إلا موضع قدمه واحسب مارووا عليه
من الاشعار التى قولها شرك والتمثل بها كفر شيئاً مصنوعا كيف تصنع
بنقر القضب بين ثنتى الحسين عليه السلام وحمل بنات رسول
الله ﷺ حواسر على الأقتاب العارية والأبل الصعاب والكشف
عن عورة على بن الحسين عند الشك فى بلوغه على انهم ان وجدوه
وقد انبت قتلوه وان لم يكن انبت حملوه كما يصنع اميرجيش المسلمين
بذرارى المشركين وكيف تقول فى قول عبيدالله بن زياد لأخوته
وخاصته دعونى اقتله فأنه بقية هذا النسل فأحسم به هذا القرن

وأميت به هذا الداء واقطع به هذه المادة خبرونا على ماتدل هذه القسوة وهذه الغلظة بعد ان شفوا انفسهم بقتلهم و نالوا ما احبوا فيهم أتدل على نصب وسوء رأى وحقد وبغضاء ونفاق وعلى يقين مدخول وايمان مخروج أم تدل على الاخلاص وعلى حب النبي ﷺ والحفظ له وعلى براءة الساحة وصحة السريرة فأن كان على ماوصفنا لا يعدو الفسق والضلال وذلك ادنى منازله فالفاسق ملعون ومن نهى عن لعن الملعون فلعون وزعمت نابتة عصرنا ومبتدعة دهرنا أن أن سب ولاة السوء فتنة ولعن الجورة بدعة وأن كانوا يأخذون السمى بالسمى والولى بالولى والقريب بالقريب واخافوا الاولياء وآمنوا الاعداء وحكموا بالشفاعة والهوى واظهار القدرة والتهاون بالأمة والقمع للرعية وأنهم فى غير مدارة ولا تقية وأنه عدا ذلك الى الكفر وجواز الضلال الى الجحد فذلك أضل لمن كف عن شتمهم والبراءة منهم على أنه ليس من استحق اسم الكفر بالسفة بالقتل كمن استحقه برد السنة وهدم الكعبة وليس من استحق اسم الكفر بذلك كمن شبه الله بخلقه وليس من استحق الكفر كمن استحقه بالتجريد والنابتة فى هذا الوجه اكفر من يزيد وأبيه وابن زياد وأبيه ولو ثبت أيضا على يزيد أنه تمثل بقول ابن الزبعرى

---

(١) بالمرأة المهملة كذا بالأصل

ليت اشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل
لاستطالوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يايزيد لا تسل
قد قتلنا الغرمن ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل

كان تجوير النابتي لربه وتشبيهه بخلقه أعظم من ذلك وأقطع على انهم مجمعون على انه ملعون من قتل مؤمنا متعمدا أو متأولا فإذا كان القاتل سلطانا جائرا أو أميرا عاصيا لم يستحلوا سبه ولا خلعه ولا نفيه ولا عيبه وأن اخاف الصلحاء وقتل الفقهاء واجاع الفقير وظلم الضعيف وعطل الحدود والثغور وشرب الخمور واظهر الفجور ثم مازال الناس يتسكعون مرة ويداهنونهم مرة ويقاربونهم مرة ويشاركونهم مرة الا بقية ممن عصمه الله تعالى ذكره حتى قام عبد الملك بن مروان وابنه الوليد وعاملهما الحجاج بن يوسف ومولاه يزيد بن ابي مسلم فأعادوا على البيت بالهدم وعلى حرم المدينة بالغزو فهدموا الكعبة واستباحوا الحرمة وحولوا قبلة واسط وأخروا صلاة الجمعة الى مغيربان الشمس فأن قال رجل لأحدهم اتق الله فقد أخرت الصلاة عن وقتها قتله على هذا القول جهارا غير ختل وعلانية غير سر ولا يعلم على ذلك الا أقبح من انكاره فكيف يكفر العبد بشيء ولا يكفر بأعظم منه وقد كان بعض الصالحين ربما وعظ بعض الجبابرة وخوفه العواقب وأراه ان في الناس بقية ينهون عن الفساد في الأرض حتى قام عبد الملك بن

مروان والحجاج بن يوسف فزجرا عن ذلك وعاقبا عليه وقتلا فيه فصاروا لا يتناهون عن منكر فعلوه فأحسب تحويل القبلة كان غلطا وهدم البيت كان تأويلا واحسب ما رووا من كل وجه أنهم كانوا يزعمون ان خليفة المرء فى اهله ارفع عنده من رسوله اليهم باطلا ومصنوعا مولدا واحسب وسم أيدى المسلمين ونقش أيدى المسلمات وردهم بعد الهجرة الى قراهم وقتل الفقهاء وسب أئمة الهدى والنصب لعترة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون كفرا كيف تقول فى جمع ثلاث صلوات فيهن الجمعة ولا يصلون أولاهن حتى تصير الشمس على أعالى الجدران كالملاء المعصفر فأن نطق مسلم خبط بالسيف واخذته العمد وشك بالرماح وأن قال قائل اتق الله أخذته العزة بالأثم ثم لم يرض الا بنثر دماغه على صدره وبصلبه حيث تراه عياله ومما يدل على أن القوم لم يكونوا ألا فى طريق التمرد على الله عز وجل والاستخفاف بالدين والتهاون بالمسلمين والابتذال لأهل الحق أكل امرائهم الطعام وشربهم الشراب على منابرهم أيام جمعهم وجموعهم فعل ذلك حسن بن دلجة وطارق مولى عثمان والحجاج وغيرهم وذلك ان كان كفر كله فلم يبلغ كفر نابتة عصرنا وروافض دهرنا لان جنس كفر هؤلاء غير كفر أولئك كان اختلاف الناس فى القدر على أن طائفة تقول كل شيء بقضاء وقدر وتقول طائفة أخرى كل شيء بقضاء وقدر

الا المعاصي ولم يكن أحد يقول أن الله يعذب الأبناء ليغيظ الآباء وأن الكفر والإيمان مخلوقان في الانسان مثل العمى والبصر وكان طائفة تقول ان الله يرى لا تزيد على ذلك فأن خافت أن يظن بها التشبيه قالت بلى كيف يتقززا (١) من التجسيم والتصوير حتى نبتت هذه النابتة وتكلمت هذه الرافضة فقالت جسما وجعلت له صورة وحدا وكفرت من قال بالرؤية على غير التجسيم والتصوير ثم زعم اكثرهم ان كلام الله حسن وبين وحجة وبرهان وأن التوراة غير الزبور والزبور غير الانجيل والانجيل غير القرآن والبقرة غير آل عمران وأن الله تولى تأليفه وجعله برهانه على صدق رسوله وأنه لو شاء أن يزيد فيه زاد ولو شاء ان ينقص منه نقص ولو شاء ان يبدله بدله ولو شاء ان ينسخه كله بغير نسخة وأنه أنزله تنزيلا وأنه فصله تفصيلا وأنه بالله كان دون غيره ولا يقدر عليه الا هو غير ان الله مع ذلك كله لم يخلقه فأعطوا جميع صفات الخلق ومنعوا اسم الخلق والعجب ان الخلق عند العرب انما هو التقدير نفسه فاذا قالوا خلق كذا وكذا ولذلك قال أحسن الخالقين وقال يخلقون أفكا وقال واذ يخلق من الطين كهيئة الطير فقالوا صنعه وجعله وقدره وأنزله وفصله وأحدثه ومنعوا خلقه وليس تأويل خلقه اكثر من قدره ولو قالوا بدل قولهم قدره ولم يخلقه خلقه ولم يقدره ماكانت

(١) التقزز التباعد عن الدنس

المسألة عليهم الا من وجه واحد والعجب ان الذي منعه بزعمه ان يزعم انه مخلوق انه لم يسمع ذلك من سلفه وهو يعلم انه لم يسمع ايضا عن سلفه انه ليس بمخلوق وليس ذلك بهم ولكن لما كان الكلام من الله تعالى عندهم على مثل خروج الصوت من الجوف وعلى جهة تقطيع الحروف وأعمال اللسان والشفتين وما كان على غير هذه الصورة والصفة فليس بكلام ولما كنا عندهم على غير هذه الصفه وكنا لكلامنا غير خالقين وجب ان الله عز وجل لكلامه غير خالق أذ كنا غير خالقين لكلامنا فانما قالوا ذلك لأنهم لم يجدوا بين كلامنا وكلامه فرقا وان لم يقروا بذلك بألسنتهم فذلك معناهم وقصدهم وقد كانت هذه الأمة لا تجاوز معاصيها الأثم والضلال ألا ما حكيت لك عن بنى أمية وبنى مروان وعمالهم ومن لم يدن باكفارهم حتى نجمت النوابت وتابعتها هذه العوام فصار الغالب على هذا القرن الكفر وهو التشبيه والجبر فصار كفرهم أعظم من كفر من مضى فى الاعمال التى هى الفسق وشركاه من كفر منهم بتوليهم وترك أكفارهم ، قال الله عز من قائل « ومن يتولهم منكم فأنه منهم » .

وأرجو أن يكون الله أغاث المحقين ورحمهم وقوى ضعفهم وكثر قلتهم حتى صاروا ولاة أمرنا فى هذا الدهر الصعب والزمن الفاسد أشد استبصارا فى التشبيه من عليتنا وأعلم بما يلزم فيه منا و كشف

للقناع من رؤسائنا وصادفوا الناس وقدا نتظموا معان الفساد أجمع وبلغوا غايات البدع ثم قرنوا بذلك العصبية التي هلك بها عالم بعد عالم والحمية التي لا تبقي دينا ألا أفسدته ولا دنيا ألا أهلكتها وهو ما صارت اليه العجم من مذهب الشعوبية وما قد صار اليه الموالي من الفخر على العجم والعرب وقد نجمت من الموالي ناجمة ونبت منهم نابتة تزعم أن المولى بولائه قد صار عربيا لقول النبي ﷺ مولى القوم منهم ولقوله الولاء لحمة كلحمة النسب لا يباع ولا يوهب. قال فقد علمنا أن العجم حين كان فيهم الملك والنبوة كانوا أشرف من العرب ولما حول ذلك الى العرب صارت العرب اشرف منهم. قالوا فنحن معاشر الموالي بقديمنا في العجم اشرف من العرب وبالحديث الذي صار لنا في العرب أشرف من العجم. وللعرب القديم دون الحديث ولنا خصلتان جميعا وافرتان فينا وصاحب الخصلتين أفضل من صاحب الخصلة وقد جعل الله المولى بعد أن كان عجميا عربيا بولائه كما جعل حليف قريش من العرب قرشيا بحلفه وبعد أن جعل اسماعيل وكان اعجميا عربيا ولولا قول النبي ﷺ أن اسماعيل كان عربيا ما كان عندنا ألا أعجميا لأن الأعجم لا يصير عربيا كما أن العربي لا يصير عجميا فانما علمنا أن اسماعيل صيره الله عربيا بعد أن كان اعجميا بقول النبي ﷺ فكذلك حكم قوله مولى القوم منهم وقوله الولاء لحمة قالوا وقد جعل الله ابراهيم ﷺ أبا لمن لم يلد كما جعله

أبا لمن ولد وجعل أزواج النبي أمهات المؤمنين ولم يلدن منهم أحدا وجعل الجار والد من لم يلد في قول غير هذا كثير قد اتينا عليه في موضعه وليس ادعى الى الفساد ولا أجلب للشر من المفاخرة وليس على ظهرها الا فخور (الا قليل) وأى شيء أغيظ من أن يكون عبدك يزعم أنه اشرف منك وهو مقر أنه صار شريفا بعتقك اياه وقد كتبت مد الله في عمرك كتبا في مفاخرة قحطان وفي تفضيل عدنان وفي رد الموالي الى مكانهم من الفضل والنقص والى قدر ما جعل الله تعالى لهم بالعرب من الشرف وأرجو أن يكون عدلا بينهم وداعية الى صلاحهم ومنبهة عليهم ولهم . وقد أردت أن أرسل بالجزء الأول اليك ثم رأيت الا يكون الا بعد استئذانك واستئمارك والانتهاء في ذلك الى رغبتك فرأيك فيه موفق ان شاء الله عز وجل وبه الثقة .

تمت

خاتمة الكتاب والرسالة

لما تم عزم الشيخ ابراهيم يوسف على نشر كتاب النزاع والتخاصم للمؤرخ الكبير العلامة المقريزى ، عثر على رسالة للجاحظ فى بنى امية مخطوطة مع احدى النسخ الخطية التى لم تطبع للآن ورأى الحاقها بكتاب النزاع والتخاصم لما لها من الارتباط به ليقف القراء على آراء المؤلفين المختلفة — ويظهر من ختام رسالة الجاحظ انه كتبها لأحد خلفاء العباسيين يتقرب اليه بها ، بذم معاوية وبنيه وقد تجاوز الحد فى نقد معاوية ومن ولاه ، وهذا ما ينكره على الجاحظ اشد الانكار ان معاوية رحمه الله كان من اكبر رجالات الاسلام الذين لهم المكانة العظمى والمقدرة العجيبة فى قيادة الامم والشعوب وانما قال الجاحظ قولته وكتب كلمته متأثراً بروح عصره وقد كانت العداوة فيه على اشدها بين الامويين والعباسيين ، وانا نعتذر لحضرات القراء لوقوع بعض اغلاط مطبعية وقعت فى هذا الكتاب وما الحق به وقد ارفقنا جدولا يبين الصواب والخطأ

نقلت هذه الرساله من النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم (٢٨٥٥) تاريخ وروجعت على نسختى المكتبة التيمورية المرقومتين برقمى (٣٢١) ، ١٠٨٧ تاريخ

فلله الحمد والمنه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

صفحة	سطر	خطأ	صـــواب
٧	٧	يمول	يقول
١٠	١٤	من	ومن
١١	١٧	كم	وكم
١٧	٩	أمنين	المؤمنين
٢٣	٥	اذا	أذى
٢٣	١٥	فأتا	فأنا
٢٥	٣	طروان	لمروان
٣٥	٥	وقدرج	وقد خرج
٣٦	١	فانطقت	فانطلقت
٥٠	١٣	النزاع وطال	النزاع وفيه وطال
٨٨	٤	قفتل	فقتل
٩٠	٧	الله من	الله على من
٩١	١٢	فرأى	فرى

تم طبع هذا الكتاب فى أول أغسطس سنة ١٩٣٧

بالمطبعة الابراهيمة بمصر شارع الساحة عطفة علم الدين رقم ٤